الفصل الثالث

النتاج العلمى والأدبى فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى

●●●●●●●

أولا: العلوم النقلية

******

تطور الإنتاج العلمى والأدبى فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى نتيجة للنشاط الفكرى والعملى والأدبى خلال العصور السابقة، إلى جانب زيادة الاحتكاك بالحضارات الأخرى، مما نتج عنه نشاط حركة الترجمة وخاصة فى العصر العباسى، وزادت فى عصر الدويلات المستقلة، حتى جاء عصر السلاجقة، ودورهم البارز فى زيادة هذا التطور، من خلال بناء المدارس والمساجد والمعاهد العلمية المختلفة، هذه المعاهد التى أبرزت التخصصات العلمية، كما كان للرحلة فى طلب العلم دور بارز فى زيادة هذا النشاط الفكرى، كما زخرت مجالس العلم، والوزراء وقصور السلاطين فى العصرين السلجوقى والخوارزمى بالعلماء والأدباء والشعراء .

ولقد نهج السلاجقة والخوارزميون نهج الحكام السابقين فى رعايتهم للعلوم والأداب، بل وجميع العلوم على السواء، فتطورت بذلك العلوم النقلية والعقلية، وبلغت أوج عظمتها فى هذين العصرين وظهرت المؤلفات العلمية فى مختلف أنواع العلوم، وكان اهذه المؤلفات أثر كبير فى إثراء المكتبة الإسلامية بتلك المؤلفات القيمة العظيمة .

١ - العلوم الشرعية:

عندما فتح المسلمون إقليم خوارزم وبدأ انتشار الإسلام بين السكان الأصليين، أعتنوا فى أول الأمر بالعلوم الشرعية وما يتعلق بالقرآن وعلومه، خاصة علم القراءات، كما اعتنوا بتفسير القرآن والحديث وعلومه، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية، وغيره من هذه العلوم التى انتشرت وتطورت فأقبل الناس على تعلمها فى المعاهد العلمية، مما ساهم فى ظهور علماء مفسرين ومحدثين وفقهاء، أثروا الحياة الفكرية

بمؤلفاتهم العلمية الضخمة التى انتشرت فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى .

أ - علوم القرآن:

تعتبر علوم القرآن[١] هى أول العلوم التى اهتم بها المسلمون عبر العصور الإسلامية ولذلك حرص المسلمون على تعلمه وتعليمه لأبنائهم، بالداومة على قراءته وتجويده، وتلاوته وحفظه، مستعينين فى ذلك قول رسول الله ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٢].

ويعتبر هذا الحديث دافعا قويا عند أهل السنة والجماعة فى تعلم القرآن[٣]، كما بين هذا الحديث أن كتاب الله هو المنقذ من الفتن، الهادى إلى الصراط المستقيم المنجى لصاحبة من عذاب القبر وسوء الحساب[٤] .

والعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة، فقد أدمجها السيوطى[٥] وعدها ثمانون نوعا، ولقد عرف ابن خلدون[٦] علم القرآن بقوله "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتى المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول ﷺ على طرق مختلفة وكيفيات الحروف فى أدائها" .

وأول علوم القرآن التى اهتم بها المسلمون، علم القراءات الذى يعنى بمذاهب

---

(١) القرآن هو أصل الشريعة، نصه دليلة، والحكمة بيان رسول الله ﷺ والأئمة المجتمعة حجة على من شذ عنها، الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى)، ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م، أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه د/ مصطفى السقا،ط٥، مصطفى البابى الحلبى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٩٥.

(٢) الزبيدى: (أبى العباس أحمد الزبيدى)، ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م، التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح " مختصر صحيح البخارى "، تحقيق د/ عماد عامر، مجلد واحد، جزءان ط٣، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ج٢، حديث رقم ١٨١٧، ص ٥٢٨ .

(٣) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق، ص ٢٨٣، الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية، ص ٢٥٤ .

(٤) ثناء على مخيمر الشيخ: مباحث فى علوم القرآن، ط١، الزقازيق، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ص١٧٤ .

(٥) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، ت ٩١١ هـ، ١٥٠٥ م، الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق د / محمد أبو الفضل إبراهيم، مجلدان، ٤ أجزاء، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون، مج١، ج١، ص ١٤ – ١٧، مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن، ط١٠، مطبعة وهبه، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٤٩، ٥٠ .

(٦) ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص ٣٨٨، لمزيد من التفاصيل راجع حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٣١٧ .

الأئمة فى قراءة القرآن الكريم، وهذه الذاهب باقية إجماع يقرأ بها الناس ومنشؤها اختلاف فى اللهجات وكيفية النطق، وطرق الأداء من تفخيم وترقيق وإمالة وإدغام وإظهار وإشباع ومد، وقصر، وتشديد وتخفيف[١].

وكانت جميع القراءات جائزة عند المسلمين فى الأقاليم الإسلامية[٢]، وعند الأئمة أن الجميع على صواب[٣]، وكان المسلمون يرجعون فى إثبات صحة القراءة إلى الإسناد بالتسلسل، كقولهم قرأ فلان على فلان، حتى ينتهى إلى قرأ على بن أبى طالب على النبى ﷺ[٤] .

ولقد اهتم سلاطين ووزراء وحكام خوارزم بالقرآن الكريم وعلومه، فقد كان الوزير نظام الملك الطوسى، ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، قد حفظ القرآن الكريم وهو فى الحادية عشرة من عمره[٥]، كما كان محمد بن نوشتكين خوارزمشاه، ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م، عارفا بالقرآن، كثير التلاوة[٦] .

كما ظهر علماء متخصصون بعلم القراءات فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، ولقد أمدتنا المصادر بذكر بعض أعلام خوارزم ممن اهتموا بالدراسات القرآنية عموما، والقراءات على وجه الخصوص، ولكن تلك الإشارات فى المصادر تخلو من تفصيلات عن أن فلانا الخوارزمى كان مقرئا أو مفسرا أو فقيها، وأحيانا نجد معلومات تفيدنا بأن لبعض علماء خوارزم نشاط فى القراءات والتفسير والحديث والفقه وغيره من العلوم دون أن تعطينا تفصيلا نتبين من خلاله بروز أحد الجوانب على الأخر، مما يجعلنا نشير أحيانا إلى هذا العالم فى أكثرمن موقع فى البحث، فنذكره مثلا فى مجال علم القرآن، ثم نشير إليه عند حديثنا عن الفقه مثلا على اعتبار أن ذلك الشخص مقرئ وفقيه، أو مقرئ ومفسر، أو مقرئ ومفسر وفقيه، وغير ذلك.

ويقول المقدسى[٧] فى مقرئى خوارزم: "وأقل إمام فى القرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى، قد تقدم وزجا، كما خصهم بصحة القراءة والذهن".

(١) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن، مج١، ج١، ص ١٣ .
(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ٣ أجزاء، راجعه وعلق عليها د/ حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، بدون، ج٣، ص ٦٨، محمد عبد السلام إبراهيم: المحتويات فى الحضارة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، بدون، ص ١٧٩ .
(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٤٦ .
(٤) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٣، ص ٦٨ .
(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٤٥ .
(٦) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٢٢ .
(٧) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٧ .

ومن علماء خوارزم فى مجال القراءات خلال العصر السلجوقى، شيخ القراء بخراسان أبو نصر محمد بن أحمد بن على بن حامد الكركانجى، ت٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وكان إماما فى علوم القرآن والقراءات كثير التصانيف[١]، ومن مصنفاته الحسنة: كتاب "المعول"، وكتاب "التذكرة لأهل البصرة "[٢]، ومن أقواله: أن نصف القرآن فى قوله تعالى : ﴿ ...لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾[٣] .

النون والكاف فى النصف الأول، والراء والألف من النصف الثانى[٤]، وفى ذلك يقول السيوطى[٥]: قال بعض القراء: القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات، فنصفه بالحروف والنون، والكاف من النصف الثانى، وقيل: إن النصف بالحروف الكاف من "نكرا" .

ومن مقرئى إقليم خوارزم الذين كان لهم اهتمام بالقرآن وعلومه فى العصر السلجوقى، عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى، ت٥٢٩هـ/ ١١٣٤م[٦] .

ولقد اهتم وزراء خوارزم فى العصر الخوارزمى بالقرآن الكريم وعلومه، فكان الوزير شرف الدين فخر الدين على الجندى وزير السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاة (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م)، يتصف برقة القلب وصفاء العقيدة والخشوع إلى الله عزوجل لدرجة أنه حينما كان يقرأ القرآن كانت الدموع تنهمر على خديه[٧] .

ومن مقرئى خوارزم فى العصر الخوارزمى أبو محمد عبد الحمن بن محمد الكركانجى،

وكان إماما فاضلا فى القراءات وعلومها، حسن الأخذ والإقراء[٨]، يقول السمعانى[٩] ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م. لقيته ولم يتفق لى أن سمعت منه شيئا يسيرا من

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٦، ص ٢٩٧، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ص ٣١، ٤٣٢، وبن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٣، ص ٢٧٣ .
(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ١٥٧ .
(٣) سورة الكهف الآية ٧٤ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج ٥، ص ١٥٨ .
(٥) الإتقان فى علوم القرآن، مج١، ج١، ص ١٩٨ .
(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٣، ص ٢٢٥ .
(٧) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣١١، ٣١٢ .
(٨) السمعانى: الأنساب، مج٥، ص ٦١٠ .
(٩) الأنساب: مج٥، ٦١٠ .

الحديث فيما أظن. وابنه أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكركانجى، وكان شيخا صالحا. وقرأ عليه السمعانى[١] .

ولم تقتصر علوم القرآن على علم القراءات فقط، بل امتدت إلى علوم القرآن الأخرى، كمعرفة نزوله وغريبة، وإعرابه وإعجازه، وفيما وقع منه بغير لغة العرب (العجم)[٢]. فظهرت وانتشرت المصنفات العلمية فى علوم القرآن فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، ومن هذه المؤلفات "نكت الأعرابى فى غريب الإعراب فى غريب إعراب القرآن" . لأبى القاسم الزمخشرى، ت٥٣٨هـ١١٤٣م[٣].

ومن المؤلفات العلمية فى علوم القرآن أيضا "مفتاح التنزيل[٤]" وكتاب "التنبية فى إعجاز القرآن" ، لدين المشايخ محمد بن أبى القام بن بايجوك البقالى الخوارزمى ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م[٥]. كما ألف فيما وقع فى القرآن بغير لغة العرب، كتاب "تراجم الأعاجم" باللغة الفارسية، أوله الحمد لله مانح الأعلاق . . .إلخ، مختصر فى "تفسير مفردات القرآن على ترتيب السور"[٦] .

ومن علماء العصر الذين زاروا إقليم خوار زم، وانتشرت مؤلفاتهم فى مختلف أنواع العلوم، فخر الدين الرازى ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، ومن مؤلفاته رسالة فى التنبيه على بعض الأسرار المودعة فى بعض سور القرآن العظيم،[٧] وكتاب "إعجاز القرآن "[٨].

ولقد ساهمت هذه المؤلفات العلمية الخاصة بعلوم القرآن المختلفة فى إثراء الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

---

(١) السمعانى: نفسه، مج٥٦٠، ص ٦١١، ٦١٠ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن، مج١، ج١، ص ١٤ - ١٧، مناع القطان: مباحث فى القرآن، ص ٤٩ - ٥٠، راجع ثناء على مخيمر الشيخ: فتح الرحمن فى علوم القرآن، ط١، الزقازيق، بدون، ص ١٦١ - ١٩٢ .

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٤، مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى، ص ٥٠ .

(٤) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص ٢١٥، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٥٦ .

(٥) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص ١٩٥، إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، مج٢، ص ٩٨ .

(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ٣٩٤ .

(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص ٤٥ .

(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ١٢٠ .

ب - علم التفسير:

كان تفسير القرآن الكريم أحد فروع العلوم الدينية الإسلامية النقلية التى ساهم فيها مفسرو إقليم خوارزم.

لقد كان العرب المسلمون عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم(١)، وفى ذلك يقول ابن خلدون(٢): اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم وكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ". ومع هذا فلم يكن القرآن جميعه فى متناول الصحابة جميعا يستطيعون أن يفهموه - إجمالا وتفصيلا - بمجرد أن يسمعوه(٣). ولاشك أن فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحتاج إلى تفسير(٤).

ولما صار الإسلام دولة، وإقليم خوارزم منها، احتاجوا إلى الأحكام والقوانين، كان القرآن مصدر استنباطها، فزادت العناية فى تفسيره وأصح القراء والمفسرون مرجع المسلمين فى استخراج تلك الأحكام(٥). وصار التفسير على صنفين الأول تفسير نقلى مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهى معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآى وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين(٦) أى ما روى عن الرسول ﷺ من شرح وتفسير القرآن الكريم . وبمرور الزمان تضخم هذا التفسير المنقول، فدخل فيه أيضا ما نقل عن الصحابة والتابعين، وهكذا حتى كانت كتب التفسير المؤلفة فى العصور الأولى مقصورة على هذا النحو من التفسير(٧) .

أما الصنف الثانى من التفسير، فهو تفسير عقلى وهو الذى يرجع إلى اللسان عن معرفة اللغة والبلاغة فى تأدية المعنى بحسن المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير

(١) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مج٣، ص ٧٠ .
(٢) المقدمة: مج٢، ص ٣٩١ .
(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤ م، القاهرة، ص ١٩٥ .
(٤) يحيى وهيب الجبورى: الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ص ٥٧ .
(٥) الخربوطلى: (على حسن الخربوطلى)، الحضارة العربية الإسلامية، دار الطباعة الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون، ص ٣٦٦ .
(٦) ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص ٣٩٢ .
(٧) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٠٠، على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة المنيا، بدون، ص ٣١٦ .

قل أن ينفرد عن الأول، إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات[١]. ومن أحسن ما أشتمل عليه فى هذا الفن من التفسير فى إقليم خوارزم خلال العصر السلجوقى تفسير الكاشف للزمخشرى المعتزلى المتوفى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م[٢]. ويظهر أن تفسير القرآن كان فى كل عصر من العصور متأثر بالحركة العلمية فيه، وصورة منعكسة لما فى العصر من آراء ونظريات علمية ومذاهب دينية[٣]. ولذلك كان هذا الصنف الثانى - التفسير العقلى - ملائما لإقليم خوارزم وخاصة فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، حيث شهد العصر السلجوقى دخول مذهب المعتزلة فى إقليم خوارزم عن طريق أبو مضر محمود بن جرير الضبى المتوفى سنة ٥٠٧ /١١١٣م[٤]، ويشهد الرقى الفكرى بخوارزم أن المذهب المعتزلى المعتمد على العقل والفكر انتشر بها منذ القرن الحادى عشر الميلادى، القرن الخامس الهجرى[٥]، حيث انتشر المذهب المعتزلى فى إقليم خوارزم، وسار الزمخشرى على مذهب أستاذه أبو مضر[٦] وألف تفسيره "الكاشف عن حقائق التنزيل" فرغ من تأليفه يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأخر عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، قال فى خطبته "أن املأ العلوم بما يغمر القرائح علم التفسير[٧]" ويقول ابن خلكان[٨]: صنف الزمخشرى التصانيف، البديعة: منها "الكشاف" فى تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله، وانتشرت كتب التفاسير فى إقليم خوارزم خلال العصر السلجوقى، أشهرها تفسير الخوارزمى، لأبى الحسن على بن عراق الخوارزمى ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، سماه "شماريخ الدرر فى تفسير القرآن"[٩] .

ومن أصحاب الزمخشرى، المفسرين، حجة الأفاضل، على بن محمد بن عمران العمرانى الخوارزمى، ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، وله كتاب فى "تفسير القرآن"[١٠].

(١) ابن خلدون: نفسه، مج٢، ص ٣٩٤ .
(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص ٣٩٤، الزركلى: (خير الدين الزركلى) بدون، الأعلام " قاموس، تراجم، ج٨، ط٢، طبعة كوستاتسوماس، بدون، ص٥٥ " .
(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٤٨٧ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٨٧ .
(٥) بارتولد: تاريخ الترك، ص ١٤٥ .
(٦) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص ٢٨ .
(٧) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٤٧٥ .
(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٨ .
(٩) ياقوت الحموى: معجم الأدباء: مج٤، ص ١٨٥، إسماعيل باشا البغدادى: إيضاح المكنون، ص ٥٣ .
(١٠) ياقوت: معجم الأدباء: مج٤، ص ٣٢٠، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ٤٤٦ .

ومن تلاميذ الزمخشرى، المفسرين أيضا: محمد بن أبى طالب القاسم بن بايجوك، زين المشايخ، أبو الفضل الخوارزمى، الملقب بالأدمى، أخذ عن الزمخشرى وخلفه فى حلقته، وصنف تفسير القرآن، توفى سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م[١] .

وكما ألف أصحاب مذهب أبى حنيفة من المعتزلة كتبا فى التفسير القرآن، كان لأصحاب مذهب الأمام الشافعى نصيب من تفسير القرآن، فى العصر الخوارزمى، المفسر الصوفى، نجم الدين أحمد بن عمر بن عبد الله المعروف بالشيخ نجم الدين الكبرى الشافعى ت٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وله تفسير القرآن الكريم فى أثنى عشر مجلدا[٢].

وأخر المفسرين والذى عاش فترة بعد الغزو المغولى: محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى، العالم الفاضل المحقق جمال الدين، صنف ملتقط المعالم فى التفسير، وهو مؤلف جليل القدر والشأن، ينقل عنه المفسرون ويعتبرونه، وكانت وفاته فى سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م[٣].

ولقد ساهم المفسرون من خلال تصنيف التفاسير وفقا لمذاهبهم فى زيادة النشاط الفكرى فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

ج - علم الحديث:

عنى المسلمون بالحديث النبوى عناية خاصة منذ عصر الرسول ﷺ، وأقدم من سمع هذه الأحاديث الصحابة وحفظوها، ولذلك فهو المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، فوضعوا له قوانين الرواية، وكان من أهم هذه القوانين، البحث فى سند الحديث، وفحص أحوال الرواة، واستنبطوا مصطلحات خاصة عرفوا بها ودققوا فى الالتزام بها، فأصبحت علما قائما بذاته[٤].

وقال السمعانى:[٥] "اعلم وفقك الله أن علم الحديث، أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليهما ومستنبطة منهما، والله سبحانه

(١) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص ١٩٥ .

(٢) الداوودى: (شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداووى، ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م، طبقات المفسرين، راجعة لجنة من العلماء باشراف الناشر، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص ٥٩، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ٤٥٩ .

(٣) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص ٢٢٩ .

(٤) على الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، ص ٢٨٠ .

(٥) السمعانى: (أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى)، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م، أدب الأملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ص ٣ .

وتعالى شرف نبينا عليه الصلاة والسلام، حيث قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[١] "وألفاظ رسول الله ﷺ، وأفعاله، وتقريراته وأخبار ذلك لابد لها من النقل، ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح، والصحة فى الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة والعدل عن العدل"[٢].

ويقول ابن الصلاح فى مقدمته[٣]: "إن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة، وأنفع الفنون النافعة" كما ذكر فهرست لأنواع الحديث، فعدده خمسة وستون نوعا"[٤].

وذكر السمعانى[٥] الآداب التى يجب أن يتحلى بها من يملى الحديث فذكر خمسين صفه مدعمة بالأحاديث الصحيحة، والأقوال المأثورة عن الصحابة ورجال الدين.

ولقد ازداد حرص المسلمين على العناية بالحديث النبوى الشريف[٦]، مما أدى إلى تطور علم الحديث، ومصطلحه، ومعرفة مدى دقة الرواة والوصول إلى الإسناد العالى، والتعريف بالكذابين، والمتروكين، والضعفاء والمجروحين[٧]، فخرج لنا علم الرجال، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الإسناد، كما قام العلماء بنقد الحديث، ونقد السند، ثم انصرفت العناية إلى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها[٨].

وقد اعتمد علماء الحديث اعتمادا كبيرا على الرحلة فى طلب الحديث ولقيا الشيوخ والتثبت من الأسانيد، وهى ظاهرة مهمة جدا تدل على مدى العناية والاهتمام بحديث رسول الله ﷺ. وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت الوجادة[٩]، إلا أنها لم تحل محل

(١) سورة النجم: الآية ٤ .
(٢) السمعانى: ادب الأملاء والاستملاء، ص ٤، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٦٣٥: ٦٣٦ .
(٣) ابن الصلاح: (ابو عمرو عثمان بن الصلاح الشهزورى)، ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٤ م، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث، مكتبة المتنبى، بدون، ص ٣ .
(٤) ابن الصلاح: المقدمة، ص ٤ - ٧، لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص ٣٩٥: ٣٩٧ .
(٥) السمعانى: أدب الأملاء والاستملاء، ص ٢٥ - ٨٥، لمزيد من التفاصيل راجع، ابن جماعه: تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٢٦: ١٢٧ .
(٦) الخربوطلى: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٣٦٧ .
(٧) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق فى العصر البويهى، ص ٢٩٠ .
(٨) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص ٣٢٧، ٣٢٨ .
(٩) الوجادة: وهى مصدر لـ " وجد يجد " والوجادة هى أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطة، فيقول " وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان، أو فى كتاب فلان بخطة، أو قرأت بخط فلان عن فلان . ابن الصلاح: المقدمة، ص ٨٦ " .

الرحلة التى كان يقوم بها طلاب الحديث من قبل للقاء رجاله كما ذكر أدم متز[١]، وإنما كانت تمثل أسلوب من أساليب تطور تلقى الحديث فلقد استمرت الرحلة عند علماء الحديث وطلابه عبر العصور الإسلامية[٢].

وتطورت طرق نقل الحديث من خلال الرحلة فى طلبه، ولم تقتصر على السماع، وإنما اتسعت إلى الإجازة، حين يجيز الشيخ لشخص معين فيقول "أجزت تلك الكتاب الفلانى"، أو ما اشتملت عليه فهرستى هذه "فهذا أعلى أنواع الإجازة المجردة عن المناولة[٣]. واشترطوا فى صحة المناولة اقترانها بالإذن بالرواية، وهى أرفع أنواع الإجازة[٤]، ولها صور منها أن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه أو فرعا مقابلا به، ويقول "هذا سماعى أو روايتى عن فلان فاروة عنى، أو أجزت لك روايته عنى"، ثم يملكه إياه . أو يقول "خذه وانسخه وقابل به ثم رده إلى" ونحو هذا، وهذه المناولة المقترنة بالإجازة حلت محل السماع عند جماعة من أئمة أصحاب الحديث[٥].

وعندما يكتب الشيخ إلى الطالب وهو غائب شيئا من حديثه بخطه أو يكتب له ذلك وهو حاضر يلحق بذلك ما إذا أمر غيره بأن يكتب له ذلك عنه إليه، يسمى ذلك بالمكاتبة، وهى إما أن تتجرد عن الإجازة، أو تقترن بها وذلك بأن يكتب إليه ويقول "أجزت لك ما كتبته لك، أو ما كتبت به إليك، أو نحو ذلك من عبارات الإجازة[٦] . وأما أن يوصى الراوى بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص ما فيعرف ذلك بالوصية[٧] .

إن هذا التنوع الكبير فى أساليب تلقى الحديث يعكس مدى التطور الذى حدث فى مسألة مدى قبول الرواية.

ولقد أدى هذا التنوع إلى نشاط علم الحديث فى إقليم خوارزم، كما نشطت بعض المؤلفات فى معرفة الحديث ومعرفة الغريب منه، من خلال الرحلة إلى الأقطار الإسلامية

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ج١، ص ٣٥٣: ٣٥٤ .
(٢) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص ٢٩١، الزهرانى: الحياة العلمية، ص ٢٨١ .
(٣) ابن الصلاح: مقدمة، ص ٧٢ .
(٤) ابن حجر العسقلانى: (أحمد بن على بن حجر العسقلانى)، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م، نخبة الفكر فى مصطلح أهل الفكر، تحقيق وتدقيق د/ محمود محمد حمودة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م، ص ٣٣ .
(٥) ابن الصلاح: المقدمة، ص ٧٩ .
(٦) ابن الصلاح: نفسه، ص ٨٣ .
(٧) ابن الصلاح: نفسه، ص ٨٥ .

لتلقى هذا العلم الجليل، مما أدى إلى ظهور عدد من المفسرين والفقهاء ممن برعوا فى هذا العلم، كما برز عدد من محدثى خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى ففى العصر السلجوقى: المحدث الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن أبى الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسى ثم النيسابورى، كان من أعيان المحدثين، ولقد صنف فى علم الحديث كتاب "المفهم لشرح مسلم"(١)، وصار إماما فى الحديث، وخرج من نيسابور إلى إقليم خوارزم، ثم رجع إلى نيسابور وولى الخطابة بها وكانت ولادته فى سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، وتوفى فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)، بنيسابور، رحمه الله تعالى(٢).

ومن محدثى الفترة الذين زاروا خوارزم: أبو العلا الخطيب، صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، من أهل نيسابور سمع الحديث الكثير، وولى قضاء خوارزم، وأملى الحديث، وتوفى سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م(٣).

ومن محدثى خوارزم فى العصر السلجوقى أيضا الأمام الجليل الحافظ أبو بكر البيهقى: إسماعيل بن أحمد بن الحسين الخسروجردى سمع من عبد الغافر بن محمد الفارسى، وتفقه على أبيه وتخرج به فى الحديث، وسافر الكثير ودخل إقليم خوارزم، فسكن به مدة وولى الخطابة، والتدرس للشافعية، ثم سافر إلى مدينة بلخ، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى بيهق، بعد ما غاب عنها نحو ثلاثين سنة، وتوفى بها فى جمادى الأخر سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م(٤).

ومن محدثى خوارزم أيضا الحافظ البارع أبو سعد عبد الكريم ابن الحافظ أبو بكر محمد ابن العلامة المجتهد منصور بن محمد عبد الجبار بن احمد بن جعفر التميمى السمعانى المروزى المتوفى سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م صاحب التصانيف ولد فى شعبان سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م، وحمله والده إلى نيسابور فى آخر سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥، فمات أبوه سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م، وتربى مع أعمامه وأهله وحفظ القرآن والفقه ثم حبب إليه هذا الشأن(٥)، وعنى بالحديث والسماع، واتسعت رحلته، فعمت بلاد خرسان وما وراء

(١) الذهبى: (أبو عبد الله شمس الدين الذهبى)، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، تذكرة الحفاظ، تصحيح عبد الرحمن بن يحى المعلمى، مجلدان، ٤أجزاء، دار الإحياء والتراث العربى، مج ٢، ج٤، ص١٢٧٥.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ٢٢٥.
(٣) ابن الجوزى: المنتظم ج١٧، ص١٢٩.
(٤) السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص٤٤.
(٥) الذهبى: تذكرة الفاظ، ج٤، ص١٣١٦.

النهر[١]، وإقليم خوارزم وألقى الحديث فيه[٢]. كما دخل ابن عمه محمد بن أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن السمعانى إقليم خوارزم مرتين فى العصرين السلجوقى والخوارزمى،كان يروى الأحاديث مسندة عن أبيه، ولقد سمعه "صاحب الكافى" محمود ابن محمد العباس بن أرسلان أبو محمد الخوارزمى ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، وكان يقول على المنبر: احفظ إيمانك حفظ العمامة على رأسك، لا تكن العمامة أعز من إيمانك[٣].

ومحمود بن محمد بن العباس بن أرسلان الخوارزمى هذا، وكان فقيها محدثا، سمع أباه وجده كما سمع من إسماعيل بن أحمد البيهقى ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وغيرهم، وطلب الحديث بنفسه، وعلق منه طرفا صالحا، وأقام بخوارزم يفيد الناس وينشر العلم[٤].

ويقول السبكى:[٥] وقفت على المجلد الأول من كتابه "تاريخ خوارزم" وهو ثمانية أجزاء ضخمة، وفيه دلالة على أن الرجل كان متبحرا فى صناعة الحديث،يطلق عليه الحافظ المطلق ولاحرج، وقد أكثر فيه من الأسانيد والفوائد والكلام على الحديث، وكان يروى عن أبى سعد السمعانى بالإجازة، وتوفى سنة٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، وله بخوارزم، عقب علماء محدثون .

كما كان هناك علماء خوارزميو الأصل والمنشأ فى علم الحديث ممن سبقوا محمود بن أرسلان وسمع منهم ولكننا ذكرنا أولا العلماء والمحدثين الذين جاءوا من خارج خوارزم. منهم محمد بن أحمد بن أبى بكر أبو عبد الله الكر در انخاسى من أهل خوارزم سمع الحديث من أبى بكر السمعانى والد يوسف عبد الكريم السمعانى، وسمع منه محمود بن محمد بن أرسلان، وحدث عنه علماء خوارزم المحدثون ويقول السبكى: أقام بقريته كردرانخاسية، فكان هو العالم، والواعظ، والخطيب بها، وكان ثقة، صالحا، توفى فى شهر شوال سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢[٦].

---

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص١٨١.
(٢) السمعانى: الأنساب، ج١، ص٤٤٤.
(٣) السبكى: طبقات الشافغية، ج٦، ص٨٧.
(٤) السبكى: نفسه، ج٧، ص٢٨٩.
(٥) طبقات الشافعية، ج٧، ص٢٨٩: ٢٩٠.
(٦) السبكى: نفسه، ج٦، ص٨٥: ٨٦.

ومن محدثى الفترة أيضا أبو القاسم محمود بن عمر العارضى الملقب شمس المشرق، المتوفى سنة٥٢١هـ/١١٢٧م سمع الحديث من أبى نصر القشيرى[١] وغيره، وأملى طرفا من الحديث وشرحه بلفظ حسن ومعان لا بأس بها، أقام مدة بخوارزم فى خدمة خوارزمشاة محمد بن نوشتكين مكرما، ثم ارتحل إلى مرو فزبح نفسه بيدة فى أوائل سنة٥٢١هـ/١١٢٧م، ووجد بخطه رقعة فيها: هذا ما عملته أيدينا فلا يؤخذ به غيرنا، وكان الزمخشرى يدعو الجاحظ[٢] الثانى لكثرة حفظه وفصاحة لفظه[٣].

ومن المشتغلين بصناعة الحديث فى إقليم خوارزم: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى،الأمام الكبير فى التفسير والحديث، وكان إمام عصرة[٤]، وقد سمع الحديث، وطاف البلاد، وجاور بمكة مدة[٥]، ومن مصنفاته فى علم الحديث "الفائق فى غريب الحديث"[٦]، و"تشلبه أسماء الرواة"[٧]، كما كان يستشهد الزمخشرى فى تفسيره للقرآن بأحاديث الرسول وأعلام الصحابة والتابعين، وكان يكتفى بإبراز الرواية مسبوقة بلفظة " وفى الحديث "أو "قال الرسول كذا "أو "قال الصحابى فلان كذا " وكان يستشهد بالأحاديث التى تخدم مذهبه المعتزلى[٨]، وتوفى الزمخشرى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، ومن تلاميذ الزمخشرى الذين سمعوا منه الحديث ورووة عنه أبو الفرج محمد ابن أحمد بن أبى سعيد الأعرجى، شيخ العلماء بخوارزم، وسمع ايضا من إسماعيل بن البيهقى المتوفى سنة٥٠٧هـ/١١١٣م،وروى عنه،وكان ثقة عدلا محبا للحديث، وتوفى سنة٥٥٣هـ/١١٥٨م[٩]، ولم تشير المصادر إذا كان له مصنفات فى علم الحديث أم لا .

(١) أبى نصر القشيرى:الشيخ الإمام، المفسر العلامة، أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام شيخ الصوفية أبى القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى النيسابورى، النحوى المتكلم، وهو الولد الرابع من أولاد الشيخ، اعتنى به أبوة، وأسمعه، وأقرأه حتى برع فى العربية والنظم والنثر والتأويل، توفى سنة٥١٤هـ.الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٣٠.

(٢) الجاحظ: المتكلم المعتزلى وإليه تنسب الفرقة الجاحظية، لجحوظ عينيه، ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م. ابن كثير البداية والنهاية، ج١١، ص٢٢، هو عمر بن بحر أبى عثمان الجاحظ، وكان من فضلاء المعتزلية والمصنفين لهم وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، وخلط وروج كثيرا من مقالاتهم بعباراته البليغة . الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص٧٥.

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٨٨: ٤٨٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص١٦٨.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٣٦.

(٦) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص١٧٣.

(٧) حاجى خليفة:كشف الظنون، مج٢، ص١٥٨٤.

(٨) الجوينى: منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص١٥٩.

(٩) الذهبى:تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤١.

ومن تلاميذ الزمخشرى فى علم الحديث أيضا وكان أكبر أصحابه، على بن محمد ابن على بن أحمد بن مروان العمرانى الخوارزمى، الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ كثير السماع والحفظ، سمع الحديث من فخر خوارزم الزمخشرى وغيرة، وكان ولعا بالسماع طروبا، وجعل فى آخر عمرة أيامه مقصورة وأوقاته موقوفة على نشر العلم وإفادته لطالبيه، وإفاضته على الراغبين فيه، كما كان فحول العلماء يرجعون إليه ويقرءون عليه، ويفزعون من حل المشكلات وشرح المعضلات إليه، وهو مع العلم الغزير والفضل الكثير، علم فى الدين، وكان يذهب مذهب الرأى والعدل،وتوفى فما يقارب سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م[١].

وممن سمعوا الحديث من الزمخشرى وتتلمذوا عليه: محمد بن أبى القاسم بن بايجوك البقالى الخوارزمى الأدمى النحوى، أبو الفضل زين المشايخ، سمع الحديث من الزمخشرى وغيرة، وجلس مكانة حتى توفى سنة٥٦٢هـ/ ١١٦٦م[٢].

ومن محدثى خوارزم فى العصر الخوارزمى: نجم الدين الكبرى الخيوقى، حدث بخوارزم،وكتب عنه الرحالة من أهل الحديث وغيرهم،وهو شافعى المذهب أما فى السنة[٣].

ومن محدثى خوارزم أيضا: مطهر الدين سديد بن محمد بن على بن أحمد بن عبد الله بن أبى الفضل النوزكاثى، المقتول بيد المغول، وكان ممن رحلوا فى طلب الحديث وكتبه وأكثر منه، وكان حافظا لأسماء رجال الحديث عارفا بالحديث، وأجاز لياقوت الحموى[٤].

ومن محدثى الفترة الذين رحلوا إلى خوارزم: الإمام الحافظ المفيد الفقيه الشاعر أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمى الحديثى ثم البغدادى سكن إقليم خوارزم إلى أن أحرقه المغول وعدم خبرة واستشهد سنة٦١٨هـ/ ١٢٢١م[٥].

ومع أن هذا المحدث فقيها كان عالما بكل العلوم إلا أننا فضلنا أن نذكرة فى علم

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص٣١٩.
(٢) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص٢١٥.
(٣) الداووى: طبقات المفسرين، ج١، ص٥٩.
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص٤٠٧.
(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٩٤.

الحديث لما قاله ياقوت الحموى:[1] الذى زار خوارزم فى هذه الفترة: "كان عارفا بالحديث، ورجاله وعلومه عارفا بالأدب قيما باللغة جدا وخصوصا علم الحديث".

وهكذا فقد كان علم الحديث من أفضل العلوم بعد القرآن الكريم وتفسيره لدى علماء خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، فقد أثروا الحياة الفكرية بمصنفاتهم فى أنواع هذا العلم.

د - علم الفقه وأصوله:

يطلق لفظ الفقه فى اللغة على الفهم مطلقا، إذا يقال فهمت كلامك[2]، قال تعالى ﴿ ...**فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴿٧٨﴾ ﴾[3].

ويعد الفقه من أبرز فروع العلوم الدينية الإسلامية التى اشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتيسير شئون أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية، وذلك عن طريق وضعين الرعاية، وكان أساسة القرآن والسنة .

يقول ابن خلدون[4] " الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والندب والكراهة والإباحة، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبة الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه .

وبذلك فإن المسلمون استخرجوا أحكامهم من القرآن والسنة، وكانت السنة شارحة للقرآن الكريم تبين مجمله، فالسنة أو أحاديث الرسول بينت كثيرا من آيات القرآن كالذى فى آيات الصلاة والزكاة، فالقرآن لم يبين هيئات الصلاة ولا أوقاتها، ولم يبين المقادير الواجبة فى الزكاة ولا شروطها، إنما يبين ذلك النبى بقوله أو فعله[5].

أما علم أصول الفقه فقد عرفه حاجى خليفة[6]، فقال " هو علم يتعرف منه

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص١٢٨.
(٢) السيد عبد العزيز العدوى: المرشد فى الفقه الإسلامى، جزءان، ط١، مكتبة مروة للطباعة. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م، ج١، ص١٢.
(٣) سورة النساء: الآية ,٧٨
(٤) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص١ .
(٥) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٣٣.
(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١١٠.

استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع[١] والقياس[٢] .

وكان أول من كتب فى هذا العلم الشافعى رضى الله عنه، ثم كتاب فقهاء الحنيفة فيه، وكتب المتكلمون أيضا فيه[٣]، وأكثر التصانيف فى الفقه وأصوله لأهل الاعتزال[٤] خاصة فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، حيث ظهر وبرز علماء وفقهاء على الذهب الحنفى المعتزلى وصنفوا فيه، كما كان للمذهب الشافعى نصيب أيضا فى حركة التصنيف .

ومن فقهاء الحنفية فى إقليم خوارزم خلال العصر السلجوقى: الفقيه المعتزلى محمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، وألف فى الفقه "رؤوس المسائل"[٥] "الرائض فى الفرائض" ، "المنهاج فى الأصول"[٦]. وهذه الكتب الفقهية التى ألفها الزمخشرى يغلب عليها طابع الفقيه الحنفى المعتزلى، ولكنه فى نفس الوقت يمدح القضاة الشارعين فى خوارزم وهم شافعية[٧].

ومن هؤلاء القضاة الفقهاء فى العصر السلجوقى: أبو العلا صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد الخطيب المتوفى سنه٥٠٦هـ/ ١١١٢م، وكان من أعيان الفقهاء، وولى القضاء فى خوارزم[٨].

ومن فقهاء خوارزم أيضا، على بن عراق الصنارى، أبو الحسن الخوارزمى المتوفى ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وقرأ الفقه بخوارزم على الفقيه أبى عبد الله الوبرى[٩]، ثم ارتحل فى

---

(١) الإجماع: هذا اتفاق الصحابة من المهاجرين والأنصار وكذلك اتفاق العلماء فى الأمصار فى كل عصر دون غيرهم من العامة. الخوارزمى: (محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى) ، ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، مفاتيح العلوم، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٧.

(٢) القياس: نوعان: قياس علة وقياس شبة، فقياس العلة أن تجمع المقيس والمقيس به علة. وقياس الشبة أن لا تجتمع المقيس والمقيس به علة ولكن يقاس به على طريق التشبيه. وكثير من الفقهاء لا يفرقون بينها. الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٧، ٨.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص٢١.

(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١١٠.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٢، ص١٦٩.

(٦) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٩٤.

(٧) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى، تفسير القرآن وبيان إعجازة، ص١٧٩.

(٨) ابن الأثير: الكامل: مج٩، ص١٨٤، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص١٨٨.

(٩) الوبرى: بفتح الواو والباء الموحدة وفى آخرها راء، نسبة إلى الوبر. القرشى الحنفى: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، كتاب الأنساب، ج٤، ص٣٣٩.

الفقه إلى بخارى فتفقه بها على مشايخها،ثم عاد إلى جرجانية خوارزم فتكلم فى مسائل مع أئمتها، ثم إلى قرية مذانة وتوطنها، وكان يعظ فى المسجد الجامع بها غداة الجمعة(١).

ومن فقهاء خوارزم على مذهب الإمام أبى حنيفة، عبد الغفور بن لقمان بن محمد الكردرى ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، وكان إمام الحنفية فى خوارزم وله التصانيف المفيدة فى الفقه وأصوله، منها شرح الجامع الصغير، نحافية نحو "شرح الجمع الكبير" يذكر لكل باب لأصلا ثم يخرج عليه المسائل(٢).

ومن فقهاء المعتزلة فى العصر الخوارزمى: الموفق بن أحمد بن محمد المكى، خطيب خوارزم، مولدة فى حدود سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، له معرفة بالفقه، وتوفى سنة٥٦٨هـ/ ١١٧٢م(٣)، وكان من الأفاضل الأكابر به فقها وأدبا(٤). وهو أستاذ أبو الفتح ناصر بن أبى المكارم عبد السيد على المطرزى الفقيه الحنفى، المتوفى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وكان رأسا فى الأعتزال داعيا إليه، ينتحل مذهب الإمام أبى حنيفة، رضى الله عنه فى الفروع.

وكان فى الفقه فاضلا، وله كتاب "المغرب" تكلم فيه عن الألفاظ التى تستعملها الفقهاء من الغريب، وهو للحنفية، شامل جامع للمقاصد(٥)، وكان يقال المطرزى خليفة الزمخشرى(٦).

ومن المصنفات فى علم الفقه وأصوله أيضا "فتاوى التمر تاش" لأحمد بن ثابت إسماعيل بن أيدغمش التمرتاشى الخوارزمى نزيل الجرجانية ت سنة٦٠١هـ/ ١٢٠٤م(٧).

وآخر الفقهاء الخوارزميين البارعين فى معرفة مذهب أبى حنيفة خلال العصر الخوارزمى أستاذ الأئمة محمد بن عبد الستار بن العمادى الكردرى (٥٥٩ - ٦٤٢هـ/

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص١٨٥.
(٢) القرشى الحنفى: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج٢، ص٤٤٣: ٤٤٤.
(٣) القرشى الحنفى: نفسه، ج٣، ص٥٢٣.
(٤) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص١٧٣.
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٣٦٩: ٣٧٠.
(٦) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص٣١١.
(٧) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين (أسماء وآثار المصنفين من كشف الظنون، مج١، ص٨٩، كما ذكر القرشى الحنفى: التمرتاشى من فقهاء الحنفية الكبار فى عصره، الجواهر المضية) ، ج١، ص١٤٧.

١١٦٣ - ١٢٤٤م) وبرع فى علم الفقه وأصوله وتفقه عليه خلق كثير، منهم ابن أخته بدر الدين محمد محمود بن عبد الكريم الكردرى ت ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م[١].

وكما كان هناك فقهاء ومؤلفات على مذهب أبى حنيفة فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، كان هناك أيضا فقهاء على مذهب الإمام الشافعى، ومن الفقهاء البارزين فى إقليم خوارزم فى العصر السلجوقى، محمد بن أحمد بن سعيد الكعبى الكاثى ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، تفقه بخوارزم على أبيه، حتى صار من فقهاء خوارزم البارزين، فتولى القضاء بكاث فكان قاضيا عادلا، وتولى رئاسة الفريقين[٢]، ومن فقهاء خوارزم الذين تولوا القضاء أيضا الفقيه محمد بن إبراهيم بن الحسين الكاثى ت٨٤٩هـ / ١١٠٤م[٣] .

ومن فقهاء الشافعية فى إقليم خوارزم خلال العصر الخوارزمى، شهاب الدين الخيوقى ت٦١٧هـ/ ١١٢٠م، وكان القضاة والمدرسون والمفتون فى جميع مملكة الولة الخوارزمية، يحضرون دروسه، وكان من عادته أنه إذا دخل مدينة ذهب إليه الفقهاء وقرأوا عليه محفوظاتهم[٤]، وكان فقيها فاضلا مبرزا مفتيا فى مذهب الإما الشافعى، واستشهد هو وابنه تاج الدين بيد المغول[٥].

ومن فقهاء الشافعية أيضا: نجم الدين الكبرى، الشافعى، ت٦١٨هـ/ ١١٢١م[٦]، وكان إماما فقيها[٧]. ومن تصانيفه فى الفقه: الأصول العشرة[٨].

وإلى جانب هذة المؤلفات الفقهية، فقد ألف كل من علماء المذاهب كتبا فى مناقب إمامة، وصنف جماعة عن الحنفية لإمامهم كتبا فيها[٩].

"شقائق النعمان فى حقائق النعمان فى مناقب الإمام أبى حنيفة " للفقيه الحنفى المعتزلى محمود بن عمر الزمخشرى،ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م[١٠].

(١) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج٣، ص٢٨، ٢٣٠.
(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٩٤.
(٣) السبكى: نفسه، ج٤، ص١١٤.
(٤) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٩.
(٥) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص١٠٩، ص٣٥.
(٦) السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص٣٥.
(٧) الأدنه وى: طبقات المفسؤين، ص٢٢٠.
(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١١٤.
(٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٨٣٦.
(١٠) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٩٥.

وكتاب "مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان" لخطيب خوارزم الإمام الموفق بن أحمد المكى الخوارزمى ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م[١].

كما ألف فخر الدين الرازى الشافعى ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، نزيل خوارزم فى عصر الدولة الخوارزمية، كتاب مناقب الإمام الشافعى[٢]، أوله الحمد لله الذى لا خالق للأشياء إلا هو. . .الخ " رتبه على أربة أقسام[٣].

وهكذا فقد زخر إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى بالفقهاء الذين أثروا الحياة الفكرية بإنتاجهم الفقهى، وذلك لارتباط علم الفقه وأصوله بالدين الإسلامى، وليس أدل على ذلك من قول المقدسى[٤] على تطور هذا العلم فى إقليم خوارزم حيث قال فى أهل خوارزم: " أهل علم وفقه. . . واقل إمام فى الفقه لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى قد تقدم وزجا"[٥] .

وقول ياقوت الحموى: "أهله علماء فقهاء أذكياء أغنياء . . . . ملازمين أسباب الشرائع والدين"[٦] .

هـ - علم التصوف:

ليس من السهل تعريف علم التصوف، لاختلاف علماء الصوفية فى تعريفه[٧]، كما أن التصوف كان له فى كل عصر مفهوم خاص[٨]،على أنه تعرض اتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية،حيث ورد فى كتاب طبقات الصوفية "التصوف هو تصفية القلب عن موافقة البشرية . . . . والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى

---

(١) حاجى خليفة: نفسه، مج٢، ص١٨٣٧، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، نقلة إلى العربية د./ السيد يعقوب بكر، راجع الترجمة د./ رمضان عبد التواب، ٦أجزاء، ط٢، دار المعارف، ج٦، ص٣١٠.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٨، قسم١، ص٢٣٤.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٨٤٠.

(٤) أحسن التقاسيم، ص٢٢٧.

(٥) زجا: تقدم وأستقام بعلمه. المقدسى: أحسن التقاسيم، حاشية١، ص٢٢٧.

(٦) معجم البلدان: مج٢، ج٣، ص٢٥٥.

(٧) إحسان إلهى ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، ط١، الناشر إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٣٦، فايزة محمد خاطر: قضايا الزهد والتصوف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥.

(٨) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص١٤٣.

الشريعة"[١]، وورد فى الرسالة القشيرية "أن التصوف هو أن يكون العبد فى كل وقت بما أولى به فى الوقت"[٢] وورد فى كتاب السهرودى"[٣] أن التصوف كله آداب، ولكل وقت أدب، ولكل حالة أدب، ولكل مقام أدب،وفى موقع آخر يقول" التصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد، مع مزيد أوصاف وإضافات لايكون بدونها الرجل صوفيا، وإن كان زاهدا أو فقيرا[٤].

ويرى ابن خلدون[٥]: أن علم وف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة واصلة "أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقه الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى الهجرى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة".

ويرى ابن الجوزى:[٦] أن الصوفية كانوا يختصون بلبس الصوف، فقال "ومن الصوفية من يلبس الصوف،ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف ".

ويرى ابن خلدون[٧] أيضا: أن الصوفية كانو يختصون بلبس الصوف فقال عنهم " وهم مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف، ويرى القشيرى غير ذلك، فيقول[٨] "إذا تصوف لبس الصوف،ولكنهم لم يختصوا بلبس الصوف".

ذكرنا بعض التعاريف الموجزة للتصوف والصوفية، على أن ما يهمنا هو كيفية

---

(١) السلمى: (أبى عبد الرحمن السلمى) ، ت٤١٢هـ/ ١٠٢١م، طبقات الصوفية، تحقيق د./ أحمد الشرباصى، ط٢، مؤسسة دار الشعب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٥٩.

(٢) القشيرى: الرسالة القشيرية، ج٢، ص٤٤١.

(٣) السهروردى: عوارف المعارف، ج١، ص١٣٩.

(٤) السهروردى: نفسه، ج١، ص١٣٩.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص٥٩: ٦٠.

(٦) ابن خلدون: جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى البغدادى، ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، تلبيس إبليس، دراسة وتحقيق وتعليق د./ السيد الجميلى، دار الريان للتراث، القاهرة، دون، ص٢٣٩.

(٧) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص٦٠.

(٨) القشيرى: الرسالة القشيرية، ج٢، ص٤٤٠.

انتشار هذا العلم فى إقليم خوارزم ومعرفة علماء الصوفية فى العصرين السلجوقى والخوارزمى .

كان نتيجة لظهور السلاجقة فى القرن الخامس الهجرى ومن بعدهم الخوارزميين،أثره فى ازدياد نفوس التصوف فى إيران وآسيا الوسطى[١] وخوارزم أكثر من ذى قبل، مما أدى إلى انتشار وجهة نظر الصوفية المتشائمة بالنسبة للحياة المادية والدنيوية[٢]، وكانت مجالس الوزير السلجوقى نظام الملك ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، مأهولة بالأئمة، والزهاد[٣]، وانتشرت فى عهد الزوايا والتكايا والأربطة[٤]، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح إقليم خوارزم مقرا للصوفية، وتطور علم التصوف، وانتشرت الطرق الصوفية، وكان لكل منها أولياؤها ومؤسسوها الذين تسمى الطريقة باسمهم، والذين كان لهم بدورهم خلفاء أو شيوخ، وانتشرت كل واحدة من هذة الطرق انتشارا واسعا[٥].

ومن هذه الطرق "الطريقة الكبروية" وقد أسسها الشيخ نجم الدين الكبرى[٦]، المتوفى سنة٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وكان إماما زاهدا صوفيا، وله عدة رسائل فى التصوف، وكان من كبار مشايخ الصوفية[٧]، وصار شيخ خوارزم، وملجأ للغرباء، عظيم الجاه فلا يخاف فى الله لومة لائم[٨]، وكثر أتاعه وانتشر مريدوه، فى إقليم خوارزم وغيره، وانتفع به خلائق فى سلوك طريق الله تعالى[٩].

---

(١) آسيا الوسطى: هى بلاد ماوراء النهر، وكانت هذه البلاد منبت الأتراك الذين شهدهم التاريخ، ولذلك سميت تركستان، وتشكل بلاد تركستان هذه الأن جمهوريات آسيا الوسطى الروسية. لمزيد من التفاصيل راج يسرى الجوهرى آسيا الإسلامية، ص١٩١ - ٢١٥، أحمد فؤاد متولى: الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوفاز، بالاشتراك مع د./ هويدا محمد فهمى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد١٢، سنة٢٠٠٠م، ص٣٩ - ٨٢، لمزيد من التفاصيل راجع الفصل التمهيدى، حاشية١٠، ص٤.

(٢) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة د./ السباعى محمد السباعى، ط٢، دار الزهراء للنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٣٤.

(٣) نظام الملك: مقدمة سياسة نامة، ص٥.

(٤) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل الثانى، ص٩١، ٩٢.

(٥) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص٣٣٤.

(٦) بطروشوفسكى: نفسه، ص٣٣٨.

(٧) الداووى: طبقات المفسرين، ج١، ص٥٩.

(٨) السبكى: طبقات الشافعية، ج٨، ص٥٣.

(٩) الداووى: نفسه، ص٥٩.

وكانت تسمى هذة الطريقة "الذكر الخفى " وكان الذكر والدعاء الخفى هو أن يوصد المريد باب حجرته أمامه، ويغطى رأسه،ويكرر كلمه "الله" أو "هو" أو إحدى صفات الله[١]، ويردد بعض العبارات الدينية مثل "سبحان الله، لا إله إلا الله[٢]، وهذة الكلمة لها خاصية فى تنوير الباطن وجمع الهم إذا داوم عليها صادق مخلص، وهى من مواهب الحق لهذه الأمة، وفيها خاصية لهذه الأمة[٣].

فلايزال العبد فى خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب، مزيلة لحديث النفس،يذوب معناها فى القلب عن كل حديث النفس، فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب،فلو سكت اللسان لم يسكت القلب[٤].

ويعتقد الصوفى أن ذكر الله على هذة الصورة تنفيذا لما ورد فى القرآن الكريم: كقوله تعالى "قل الله"[٥] وقوله تعالى "يأيها الذين أمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا"[٦].

ولهذا العالم الصوفى الجليل رسائله المتعددة فى التصوف منها "فواتح الجمال" وهو كتاب فارسى فى التصوف ورسالة الهائم الخائف من لومة اللائم[٧]، وفيها يقول القزوينى[٨] "من حقها أن تكتب بالذهب،ما صنف مثلها فى الطريقة. ومن عجائبها ما ذكر أن للشيطان لطائف عجيبة فى إضلال الناس،فيضل كل واحد حسبما يليق بحاله: أما الجهال فيضلهم بجهلهم، وأما العلماء فيقول اشتغل بتحصيل العلوم،أما عرفت قول النبى ﷺ: لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد؟ فأصرف عمرك فى تحصيل العلوم فإذا كان آخر عمرك اشتغل بالعمل، فيأتيه الموت يعبه فجأة، فيكون له علم بلا عمل .

---

(١) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص٣٣٨.
(٢) رينولد ألن نيكلسون:الصوفية فى الإسلام، ترجمة وتعليق د./ نور الدين شريبة، ط٢، الناشر مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٥٥.
(٣) السهروردى: عوارف المعارف، ج٢، ص٤٥.
(٤) السهوردى: نفسه، ص٤٥: ٤٦.
(٥) سورة الأنعام: الآية٩١.
(٦) سورة الأحزاب:الآية٤١ - ٤٢.
(٧) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، مج١، ص٩٠.
(٨) القزوينى:آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٨.

ويقول القزوينى فيه أيضا[1]: وحكى رحمه الله، أنه كان يجاهد نفسه، فجاء الشيطان ليوسوس عليه الحال فقال: إنك رجل عالم تتبع آثار النبى ﷺ، فاشتغل بسماع أحاديث النبى ﷺ، وآثار المشايخ الكبار الحفاظ، فإنك إن أشتغلت بمجاهدة النفس فإن عليك إدراك المشايخ الكبار والأستاذ العالى، وأما المجاهدة فلا تفوتك فيما بعد فكدت أعمل بوسوسته فهتف بى هاتف:

ومن يسمع الأخبار من غير واسط حرام عليه سمعها بوسائط

فعرفت أن ذلك الخاطر من وساوسه فتركته.

وبعد فإن علم التصوف كان مزدهرا فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى فهذا الزمخشرى نجده فى سنة٥١٣هـ/ ١١١٩م، غلب على نفسه التصوف والتنك وأصبحت غايته من التأليف غاية دينية ويظهر ذلك فى كتابة "المفضل فى صنعة الأعراب" الذى شرع فى تأليفة سنة٥١٣هـ/ ١١١٩م[2].

وأنتشر التصوف فى إقليم خوارزم، وظهرت جماعات كبرى من الصوفية،وحدثت الخلافات بصورة واضحة فى تلك المرحلة، وظهرت منها الصوفية المعتدلة "أهل التوحيد"[3] وأصبحوا على أن الله واحد أحد فرد صمد قديم عالم قادر حى سميع بصير عزيز عظيم جليل كبير جواد رؤوف متكبر جبار،وغيرة من تلك الصفات[4]، فظهر من أقوالهم هذا علم التوحيد.

وهكذا فقد غلب علم بعض العلماء والفقهاء والمحدثين فظهر ذلك فى مؤلفاتهم، مما كان له أبلغ الأثر فى الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

---

(١) القزوينى: نفسه، ص٥٢٨، ٥٢٩.

(٢) الصاوى: منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن، ص٥٣.

(٣) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص٣١٨، ٣١٩.

(٤) الكلاباذى: (أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى) ، ت٣٨٠هـ/ ١٩٩٠م، التعرف لمذهب أهل التصوف، صححة د./ أرثر جون أربرى، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١١٩٤م، ص١٣

و - علم التوحيد:

أمرنا الله سبحانه وتعالى بعبادة الله، ومن أجل هذه العبادة، أرسل الرسل وأنزل الكتب السماوية، تدعوننا إلى عبادة الله وحدة لا شريك له، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ...** ﴿٣٦﴾﴾[1].

وفى ذلك يقول القاضى العلامة: ابن أبى العز الحنفى[2] "اعلم أن التوحيد دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله . قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ...** ﴿٥٩﴾﴾[3]. وذكر الله تعالى أمر التوحيد وأردفه بتقرير أمر النبوة، وذكر الأدلة الدالة على وجود الخالق وكمال علمه وقدرته وحكمته، تنبيها على أن المقصود الأصلى إنما معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله[4]. وكل سورة فى القرآن بل كل آية فيه داعية إلى هذا التوحيد شاهدة به متضمنة له . لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو توحيد الربوبية وتوحيد الصفات[5].

وبذلك يكون هذا التوحيد هو إخلاص العبادة لله وحده . كما قال تعالى: ﴿**...فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴿٢﴾﴾[6] فالتوحيد: أول ما يدخل فى الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا[7]، كما قال: الرسول ﷺ " بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان "[8]، "من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار"[9]، وهو أول واجب وآخر واجب، لأن علم التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: الأول:

---

(١) سورة النساء: الآية٣٦.

(٢) ابن أبى العز الحنفى: (صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى) ، ت٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون، ص١٩.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٥٩.

(٤) محمد على الصابونى: صفوة التفاسير، ٢٠جزء، طبعة دار الرشيد، سوريا، حلب، بدون، ج٢، ص٤٠٧.

(٥) محمد أحمد عيسى: حقيقة التوحيد والشرك، ط١، دار ابن كثير، الزقازيق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٩.

(٦) سورة الزمر: الآية ٢.

(٧) أبن أبى العز الحنفى: المصدر السابق، ص٢٠، محمد أحمد عيسى: حقيقة التوحيد، ص١٨.

(٨) صحيح البخارى: كتاب الإيمان، مطابع الشعب، ج١، ص٩.

(٩) صحيح مسلم: باب من مات لا يشرك بالله، شرح النووى، مج١، ص٣٩.

الكلام فى الصفات (توحيد الأسماء والصفات)، الثانى: توحيد الربوبية،وبيان أن الله وحده خالق كل شىء. والثالث: توحيد الألوهية،وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبدوه وحده لا شريك له[١].

لا يهمنا فى هذا البحث شرح هذة الأنواع من التوحيد ولكن ذكرناها لمعرفة معنى التوحيد وأنواعه أما السور بل الآيات الدالة على هذا العلم فهى كثيرة نذكر مها مثلا: فى الكلام فى الصفات (توحيد الأسماء والصفات) قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... ﴿١٨٠﴾**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾**﴾[٣].

وفى توحيد الربوبية: قال تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾**﴾[٤].

وفى توحيد الألوهية: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴿٣٦﴾**﴾[٥].

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له ملائكته وأنبياؤه ورسله[٦]، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ... ﴿١٩﴾**﴾[٧] وبذلك تضمنت هذة الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، هذا التوحيد الذى قاتل من أجله النبى الكريم ﷺ[٨]. حيث قال "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله"[٩].

ومن الأحاديث الدالة على توحيد الله وعلى أن من مات على التوحيد دخل الجنة،ما ذكرة رسول الله ﷺ أن عبادة الله تعالى هى حق الله على عباده فحريبالعباد أن يؤدوا حق مولاهم[١٠]. فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت ردف النبى ﷺ

(١) ابن أبى العز الحنفى: المصدر السابق، ص٢٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية١٨٠.
(٣) سورة الشورى: الآية١١.
(٤) سورة النحل: الآية٣١.
(٥) سورة يونس: الآية٣٦.
(٦) ابن أبى العز الحنفى: شرح الطحاوية، ص٣١.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٨: ١٩.
(٨) محمد أحمد عيسى: حقيقه الشرك والتوحيد، ص٤٤.
(٩) صحيح البخارى: كتاب الإيمان، ج١، ص١٣.
(١٠) محمد أحمد عيسى: حقيقة التوحيد والشرك، ص٢٠.

ليس بينى وبينه إلا مؤخـرة الرجل: فقال: "يا مـعاذ بن جبل " قلت: لبـيك رسول الله وسعديك ثم سار سـاعة ثم قال "يا معاذ بن جبل!" قلت: لبـيك رسول الله وسعديك. قال" هل تدرى مـا حق الله على العباد؟ "قـال" الله ورسوله أعلم. قـال" فإن حق الله على العباد أن يعـبدوه ولا يشركوا به شيـئا". ثم سار ساعة. ثم قال يا مـعاذ بن جبل" قلت لبيك رسول الله وسعديك. قـال "هل تدرى ماحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك" قال: الله ورسوله أعلم قال: أن لا يعذبهم"(١).

ونستنتج من كل ما سبق أن علم التوحـيد هو حق العباد على الله فى أى إقليم أو مدينة من المدن الإسـلامية ومنها إقليـم خوارزم . ولذلك كان ازاما علينا إدراجـه ضمن العلوم الشرعية، لأنه علم لدى كل علماء الدين، ولذلك تحدثنا عنه بإيجاز.

ولقد اعتقد المسلمون جميعا بالتوحيد، ولكن المعتزلة بلغوا فى تحليله وفلسفته أدنى حد، ومـجمل رأى المعـتزلة فى التـوحيد هـو أن الله واحد تام الأحديـة ليس ذا أجزاء مقدارية كالتى للأجسام ولا أجزاء معنوية كما لأشخاصنا المركبة فى ماهية وتشخيص(٢).

نشط علم التوحيد فى إقليم خوارزم، وخاصة لدى علماء المعتزلة. فقد صنفوا كتبا فيه وفى أسرارة، ومن هذه المصنفات "أساس التقديـس" فى التوحيد للزمخشرى المتوفى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م أوله الحمد لله الواجب وجوده وبقاؤه. . . .الخ(٣).

وظهرت مصنفات فى توحـيد الأسماء والصفات، منها "شـرح الأسماء الحسنى" لزين المشايخ أبو الفضل مـحمد بن أبى القاسم بايجوك،أبو الفضل الـبقالى الخوارزمى، المتوفى سنة٥٦٢هـ/ ١١٦٦م(٤). كما ألف فخر الدين الرازى ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، كتاب شـرح أسمـاء الله الحـسنى(٥): وسـماه لـوامع البيـنات فى شرح أسـمـاء الله تعـالى والصفات،أوله الحمد لله الذى حارت الأفكار فى مبادئ أنوار كبريائه. . . . .الخ(٦).

وهكذا كـان هذا العـلم ضـروريا لدى علمـاء خـوارزم وذلك لارتـبـاطه بالدين الإسلامى، فأخرجوا هذه المصنفات الجـليلة القدر، مما كان له أثر بالغ فى الحركة الفكرية فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

---

(١) صحيح مسلم: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، مج١، حديث رقم٤٨، ص٢٥١ - ٢٥٢(شرح النووى) .

(٢) الصاوى: منهج الزمخشرى، ص١١٢.

(٣) حاجى خليفة:كشف الظنون، مج٢، ص٦٧.

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤١٥، حاجى خليفة:كشف الظنون، مج٢، ص١٠٣٢

(٥) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٨ قسم١، ص٢٣٤.

(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون،مج٢،ص١٠٣٥.

٢ - العلوم الأدبية:

عندما فتح المسلمون إقليم خوارزم، وبدأ انتشار الإسلام بين السكان، أخذوا فى تعلم اللغة العربية، مما اضطرهم إلى تعلم النحو لإصلاح لغتهم الأصلية وعندما بدأا لعلماء فى تفسير القرآن احتاجوا إلى ضبط المعانى والألفاظ وتفهم أساليب عباراته، مما جعلهم يبحثون فى أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم، فجرهم هذا إلى تعلم العلوم الأدبية من نحو وبلاغة وأدب وشعر وغيره من هذه العلوم التى كانت تدرس فى المعاهد العلمية، مما ساعد على ظهور علماء أجلاء فى مختلف أنواع العلوم الدينية والأدبية، مما أدى إلى إنتاج العديد من المؤلفات الأدبية الضخمة، التى ساهمت فى تطور الحياة الفكرية فى هذا الإقليم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

أ - علم اللغة:

لقد حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جدا منذ أن شرفها الله تعالى بأن أنزل القران الكريم بها لذلك نرى أن أهل هذه اللغة قد اهتموا بها كثير الاهتمام، فأرخوا لها، وجمعوا واستنبطوا منها الأصول.

وفى ذلك يقول "ابن خلدون"[١] "أن هذا العلم هو بيان الموضوعان اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربى فى الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعان الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح الغربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعان اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقران والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك". وكان أكثر المشتغلين فى جمع اللغة العجم لحاجتهم إلى ذلك أكثر من العرب[٢].

وكان لعلماء خوارزم وأدبائها نتاج لغوى كبير أثر قى تطور اللغة فى المدن الإسلامية عامة، وإقليم خوارزم خاصة، حيث رحل إلى خوارزم علماء فى اللغة، كان لهم أثر فى التعلم اللغة، فبرز الزمخشرى والبقالى والموفق والمطرزى والسكاكى وغيرهم، مما كان لهم علم باللغة والنحو معا، وسوف نسير إليهم أيضا فى علم النحو .

---

(١) المقدمة: مج ٣، ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٢) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٣، ص ٨٧ .

وممن رحلوا إلى خوارزم فى علم اللغـة والنحو خلال العصر السـلجوقى. اللغوى أبو مضر النحوى، ت٥٠٧هـ / ١١١٣م، وكـان يلقب وحيد دهره وأوانه فى علم اللغة والنحو، وأقام فى خوارزم مدة وانتفع الناس بعلمه، وأخذوا عنه علما كثيرا وتخرج عليه من الأكابر فى اللغة والنحو(١)، منهم أبو القاسم الزمخشرى النحوى اللغوى المتوفى سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م(٢) الذى طاف أنحاء أرض العرب وصحاريها فسار على نهج اللغويين الأوائل الذين كانوا يسمعون من العرب ومن سماعهم(٣). ومن مؤلفاته فى اللغة "مقدمة الأدب" فى اللغة ألفهـا لاتسز بن محمد بن نوشـتكين حاكم خوارزم (٥٢١ - ٥٥١هـ/ ١١٢٧ - ١١٥٧م)، وجـعلها على خـمسـة أقـسام . . الاول فى الأسـماء والثـانى فى الأفـعـال والثالـث فى الحروف والرابـع فى تصريـف الأسمـاء والخـامس فى تصـريف الأفعـال(٤)، وله "صمـيم العربـية"(٥)، "وجـواهر اللغة"، و"كـتـاب الأسمـاء فى اللغة"(٦)، و"أساس البـلاغة فى اللغة" ويقول فـيه ابن خلدون(٧). .هو كتاب شريف الإفادة، بين فيـه كل ما تجاوزت به العرب من الألفاظ فيـما تجاوزت به من المدلولات". ويقول ابن القفطى . .(٨) " كان الزمخشرى أعلم فضلاء العجم بالعربية فى زمانه" ومن اللغويين فى خوارزم أيضا. . أبو الفضل زين المشايخ، محمد بن أبى القاسم بن بليجوك البقالى الخـوارزمى ٥٦٢ هـ، ١١٦٦م، وكان حجة فى لسان العرب، أخـذ العربية، عن الزمخشرى، وجلس مكانه(٩).

ومن تلاميذ الزمخشرى فى علم اللغـة العربية خلال العصر الخوارزمى، المرفق بن أحمد المكى، ت٥٦٨هـ / ١١٧٢م(١٠).

ومن اللغويين الكبار فى خوار زم أيضا . .أبو الفتح ناصر بن أبى المكارم المطروزى عبد السيـد بن على، ت ٦١٠هـ / ١٢١٣م، كانت له معرفة تامة باللـغة، قرأ على أبيه

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٨٧ .
(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، ج٤، ص ١١٨: ١١٩ .
(٣) الصاوى: منهج الزمخشرى، ص ١٦٤ .
(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٩٨ .
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٩ .
(٦) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٤ .
(٧) المقدمة: مج٣، ص ٢٨٧ .
(٨) ابن القفطى: ابناه الرواة على ابناه النحاة، ج٣، ص ٢٧٠ .
(٩) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص ٢١٥ .
(١٠) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٥٢٣ .

بخوارزم[١]، ومن مصنفاته فى اللغة "الإقناع فى اللغة" والمغرب فى شرح المعرب[٢] . . أوله أحمده على أن خول جزيل الطول . . .إلخ. قال . .هذا ما سبق به والوعد من تهذيب مصنفى المترجم بالمعرب وترتيبه على الحروف وتعليقه اختصرته لأهل من تهذيب مصنفى المترجم بالمعرب وترتيبه على الحروف وتعليقه اختصرته لأهل المعرفة[٣]. وهو كبير وقليل الوجود[٤].

ومن علماء اللغة أيضا أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد السكاكى[٥] المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م[٦].

وسوف نتحدث عن هذا العالم وعن مؤلفه "مفتاح العلوم" فى علم النحو والبيان هذا الإنتاج العلمى لعلماء إقليم خوارزم، خير شاهد على ما وصلت إليه اللغة العربية وعلومها المختلفة من مكانة سامية فى الإنتاج والتأليف خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى .

ب - علم النحو:

دعت الفتوح الإسلامية إلى الاختلاط دعا إلى فساد اللغة، وخصوصا فى قراءة القران، فأحسوا بحاجة شديدة إلى ضبط قواعد اللغة[٧]. وظهرت الحاجة إلى علم النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فبعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة[٨].

وأول من وضع النحو هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلى[٩]، ويقول ابن

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، مج٥، ٣٦٩ .
(٢) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص٣١١ .
(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٤٧: ١٨٤٨ .
(٤) ابن خلكان: المصدر السابق، مج٥، ص ٣٧٠ .
(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٢، ص ٦٤٧ .
(٦) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٦٢٣، ابن عماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٣، ج٥، ص ١٢٢ .
(٧) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص ٨٥ .
(٨) ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص ٢٧٩ .
(٩) اليافعى: (عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى)، ٧٦٨ هـ / ١٢٧٦ م، مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبورى، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م، ج١، ص ٢٣١، ٢٣٢، على النجدى ناصف: تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٨ .

خلكان[١] . . قيل أن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب . .اسم وفعل وحرف، ثم رفعه اليه وقال له تمم على هذا " .

وانما سمى النحو نحو لأن أبا الأسود قال . .أستأذنت على بن أبى طالب رضى الله عنه، أن أضع نحو ما وضع، فسمى لذلك نحوا والله أعلم[٢].

ولقد شع نور هذا العلم فى سبئر البلاد الاسلامية، وخاصة اقليم خوارزم ولهذا سنذكر علماء خوارزم ومصنفاتهم فى هذا العلم .

قلنا أن ابا مضر النحوى المنوفى ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م كان وحيد دهره فى علم اللغة والنحو وأقام بخوارزم، وانتفع الناس من علنه، وتخرج عليه جماعة من الأكابر فى علم النحو، منهم الزمخشرى الخوارزمى النحوى[٣]، وغدا الأمام العالم فى كثير من الفنون، فشدت اليه الرحال، ومؤلفاته فى عالم النحو تغنينا عن الاشارة بمعارفه[٤]. ومن مؤلفاته فى هذا العلم كتاب "المفصل فى النحو" بدأ تأليفه يوم الأحد فى أول شهر رمضان سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م، وأتمه فى غرة المحرم سنة ٥١٤هـ: / ١١٢٠م، أوله الله احمد غلى أن جعلنى من علماء العربية . . . . .الخ، جعله على أربعة أقسام الأول فى الأسماء والثانى فى الأفعال والثالث فى الحروف والرابع فى المشترك من أحوالها[٥]. ثم اختصره وسماه "الأنموذج" فى النحو[٦] وهو كتاب عظيم القدر، وقد اعتنى عليه أئمة هذا الفن وشرحوه[٧]، وله فى النحو أيضا "نكت الأعراب فى غريب إعراب القران" و"المفرد والمؤنث" وله أيضا "الأمالى فى النحو" و"شرح كتاب سيبويه"[٨] و"المحاجاة متمم مهام أرباب الحاجات فى الأحاجى والألغاز"[٩].

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٢، ص ٥٣٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢ م، ص ٢٦١ .

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٦٨، على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٣٠ .

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٨٧ .

(٤) محمد الطنطاوى: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٢٠٥ .

(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٧٤ .

(٦) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص ١٧٣، على النجدى ناصف: تاريخ النحو، ص ٤١ .

(٧) الصاوى: منهج الزمخشرى، ص ١١٢ .

(٨) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م، وقيل ١٦١ هـ / ٧٧٧ م، وقيل أيضا ١٩٤ هـ / ٨١٩ م، وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح، ويقال كانت أمه ترقصه بذلك فى صغره، وقيل كان من يلقاه لا يزال يشم منه رائحة الطيب فسمى سيبويه ومعنى سى: ثلاثون، وبوى الرائحة . وقيل لقب بذلك للطافته، لأن التفاح من أطيب الفواكه . ، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ٤٩٩ السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص ٢٢٩ .

(٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٦٧ .

ومن تلاميذ الزمخشرى فى علم النحو . .أبوالفضل زين المشايخ محمد بن أبى القاسم بن بايجوك البقالى الخوارزمى الآدمى النحوى، وأخذ العربية والإعراب عن الزمخشرى، وله من التصانيف فى علم النحو " تقويم اللسان فى النحو" والاعجاب فى الاعراب، وتوفى فى جمادى الاخرة سنة ٥٦٢ه / ١١٦٦م[١].

ومن العلماء البارزين فى علم النحو فى اقليم خوارزم أيضا . .ناصر بن عبد السيد المطرزى[٢] الخوارزمى الحنفى النحوى ت٦١٠ه / ١٢١٣م، صاحب المقدمة اللطيفة[٣] المشهورة بالمطرزية[٤]، وأشهر مؤلفاته التى بين أيدينا " المصباح فى النحو "[٥] ويفصح المطرزى فى كتابه هذا عن سبب تأليفه لهذا الكتاب فيذكر أن أبنه (مسعودا) بعد أن قرأ كتابه الإقناع فى اللغة أراد أن يزوده بكتب الإمام المحقق عبد القاهر الجرجانى[٦]، يزيد من معلوماته النحوية، ومعارفه اللغوية، ووجد أن أكثر كتب تداولا بين أئمة النحو . . العوامل المائة والجمل، والتتمة، ولكنه وجدها طويلة، وفيها كثير من الأشياء المعادة على حد قوله، فاستصفى منها هذا الكتاب (المصباح)[٧]، أوله أما بعد حمد الله ذى الأنعام جاعل النحو فى الكلام كالملح فى الطعام[٨]، ألفه فى خمسة أبواب الأول فى الاصطلاحات النحوية، والثانى فى العوامل اللفظية القياسية، والثالث فى العوامل اللفظية السماعية والرابع فى الغوا مل المعنوية، والخامس فى فصول من العربية وهو كتاب متداول بين الطلبة نافع مبارك[٩].

ومن علماء النحو . . صدر الأفاضل القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤١٥، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٠٣٢ .
(٢) المطرزى: بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء كسرها وبعدها زاى، هذه النسب إلى من يطرز الثياب ويرقمها، ولا نعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه، أم كان فى آبائه أن يتعاطى ذلك فنسب، والله أعلم ابن خلكان: وفيات الأعيان،مج٥، ص ٣٧١ .
(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٧٣ .
(٤) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص ٣١١. ١٧٣ .
(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٥٤٦ .
(٦) عبد القاهر الجرجانى النحوى: ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م، وكان من اكابر أئمة العربية والنحو والبيان، ومن مؤلفاته إعجاز القرآن الكبير والصغير، الجمل، العمدة فى التصريف وغير ذلك، السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص ١٠٦ .
(٧) المطرزى: (أبى الفتح ناصر بن عبد السلام بن على)، ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م، المصباح فى علم النحو، تحقيق وشرح وتعليق د/ عبد الحميد السيد طلب، ط١، القاهرة، بدون، مقدمة المترجم، ص ٥ .
(٨) المطرزى: المصباح فى علم النحو، ص ٣٣ .
(٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٠٧٨ .

الخوارزمى المولود ٥٥٥ه / ١١٦٠م[١]، ومن مصنفاته فى علم النحو كتاب شرح المفرد المؤنث "كتاب شرح الأحاجى لجار الله الزمخشرى"، وكتاب شرح "الأنموذج" و"كتاب عجائب النحو"، و"كتاب السر فى الإعراب" وكتاب "الزوايا والخبايا فى النحو"[٢].

ولقد قام بشرح كتاب المفصل فى النحو للزمخشرى، شرحه شرحا بسيطا فى ثلاث مجلدات وسماه "التجمير" وشرحه ثانية وسماه "المجمرة فى شرح المفصل"، وتوفى سنة ٤١٧ هـ / ١٢٢٠م[٣].

ومن علماء النحو أيضا أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى المتوفى ٦٢٦ه / ١٢٢٨م، وكان إماما كبيرا، عالما متبحرا فى النحو، وغيره من العلوم[٤]، وصنف مفتاح العلوم على ثلاثة أقسام يهمنا القسم الأول والثانى فى علم الصرف والنحو[٥].

ولقد عرف السكاكى علم النحو بقوله " اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ فى التركيب من حيث تلك الكيفية، واعنى بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك وبالكلم نوعيها المفردة وما هى فى حكمها[٦].

ومن هذا التعريف يتضح أن علم النحو ظل يتطور مع تطور العصر، وكان هذا العالم الجليل أخر علماء النحو الذين أثروا الحياة الفكرية فى هذا العلم وغيره من العلوم فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى .

ج - علم المعانى والبيان والبلاغة والبديع:

عرف السكاكى وابن خلدون علمى المعانى والبيان فيقول السكاكى " اعلم أن علم المعانى هو تتبع خواص تراكيب الكلام[٧] فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ٨٥٢ .
(٢) ياقوت الحموى: نفسه، مج٤، ص ٥٩١: ٥٩٢ .
(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، ص ١٧٧٤ .
(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٦٢٢: ٦٢٣ .
(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٦٣ .
(٦) (أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى)، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م، مفتاح العلوم، ط٢، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٤٤ .
(٧) تراكيب الكلام: المقصود بها التراكيب الصادرة من البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها فى صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن مجالها ما يتفق . السكاكى: مفتاح العلوم، ص ٩١ .

ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره"[١].

ويقيل ابن خلدون فى علم البيان "أن هذا العلم المسمى بالبيان أشتمل فى الدلالات الزائدة على دلالات الألفاظ المفرد والمركب، والبحث عن هذه الدلالة التى للهيئات والأحوال فى المقامات، وجعل على ثلاثة أصناف، الصنف الأول ويبحث فيه عن هذه الهيئات والأحوال حنى يطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى علم البلاغة"[٢].

والصنف الثانى يبحث فيه الدلالة غلى لازم اللفظ أو ملزومة وهى الاستعارة والكناية ويسمى علم البيان[٣]، والحقوا بها صنفا آخر وهو النظر فى تزيين الكلام وتحسنه بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك يسمى عندهم بالبديع[٤] وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان[٥].

ومن تلك التعاريف يتضح أن هذه العلوم الأربعة مرتبطة بعضها البعض فذكرت فى موضعها على أن هذه العلوم تطورت شيئا فشيئا فى العصور السابقة إلى أن مخض السكاكى زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه وألف كتابه المسمى مفتاح العلوم، وجعله على ثلاثة أقسام الأول فى علم الصرف، والثانى فى علم النحو والثالث فى علم المعانى، والبيان، وقد اعتنى عليه الفضلاء والعلماء بالتسريح والتلخيص[٦].

ومن أسباب تطور هذا العلم أيضا فى العصرين السلجوقى والخوارزمى أن معظم أهل الشرق، وأهل خوار زم خاصة قد أعتنوا بتفسير الزمخشرى، هذا التفسير الذى بنى على هذا العلم .

---

(١) السكاكى: مفتاح العلوم، ص ٩١ .
(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٢٩١ .
(٣) ابن خلدون: نفسه، ص ٢٩١ .
(٤) ابن خلدون: نفسه، ص ٢٩١، ٢٩٢ .
(٥) ابن خلدون: نفسه، ص ٢٩٢ .
(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٦٣ .

ولقد وضع الزمخشرى تفسيره هذا وتتبع أى القران بأحكام هذا العلم، فانفرد بهذا العلم على جميع التفاسير[١]، حيث كان الزمخشرى إلى جانب علمه بالتفسير والحديث والفقه والنحو واللغة عالما بعلم البيان والبلاغة[٢].

ومن علماء خوارزم فى هذا العلم أيضا محمد بن أبى القاسم ين بايجوك البقالى المتوفى ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، الذى صنف فى المعانى والبيان كتاب "البداية"[٣] كما ألف القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى ت ٦١٧هـ ١٢٢٠م كتاب "المحصل للمحصلة فى البيان"[٤].

وبذلك نجد أن إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى قد أنجب لنا علماء أفذاذ فى هذا العلم أثروا الحياة الفكرية فى هذا الإقليم .

د - علم الأدب:

كان حظ الأدب عظيما فى العصرين تاسلجوقى وتاخوارزمى، فقد حفلت هذه الفترة بأدباء أجلاء، ألفوا فى فنون الأدب وبلاغته وتاريخه.

وكان الأدب يحوى فروع علوم اللسان العربى متداخلة "فكان المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب، ومناحيهم من شعر عالى الطبقة وسجع متساو فى الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مثبوتة فى أثناء ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر فيه شىء من كلام العرب وأساليبهم ومناحى بلاغتهم[٥]" .

ولما أخذ المسلمون فى تفسير القران احتاجوا إلى ضبط معانى ألفاظه وتفهم أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم[٦].

وفى ذلك يقول ابن خلدون[٧]: " الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان والعلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهى

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٩٣: ٢٩٤ .
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٨ .
(٣) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص ٢١٥ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٤، ص ٥٩٢ .
(٥) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٢٩٤: ٢٩٥، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ٥٥ .
(٦) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص ٨٧ .
(٧) المقدمة: ص ٢٩٥ .

القران والحـديث، إذ لا مدخل لغـير ذلك من العلوم فى كـلام العرب إلا مـا ذهب إليه المتأخرون" .

وهكذا كان القران منبعا لثقافة روحية وعقلية جديدة[١].

كـان الأدب فى العـصـرين الـسلجـوقى والخـوارزمى المرأة التى عـكست الوضع الاجتماعى والسـياسى والفكرى، كما كان النتاج الأدبى الضـخم فى هذين العصرين هو الذى أظهر الوضع الثقافى والعلمى والفكرى والأدبى.

كمـا أن السلاجقـه والخوارزميـون شجعوا الـعلماء، وأنفقـوا على الأدباء العرب والفرس على السواء.

ومن الأدباء الذين نشأوا فى خـوارزم، وأثروا الحياة الأدبيـة فيها الحـسن بن المظفر النيسابورى، وهو مـؤدب أهل خوارزم فى عصره، وهو شيخ الزمخـشرى، وكان له ولد أديب اسمـه عمر وكنيتـه أبو حفص، وكان أديبا فـاضلا وتوفى سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، ومن مصنفات الحسن الأدبية كتاب "تهذيب ديوان الأدب"[٢].

ومن أساتذة خوارزم فى علم الأدب أبو مـضر الضبى ت ٥٠٧هـ / ١١٣٧م، وله كتاب "زاد الراكب" فى لببدب وهى مجموعة فيها أشعار وأخبار[٣].

ولقد تتلمذ الزمخرشى فى علم الأدب على، أبى الحـسن النيسابورى، وأبى مصر الضبى[٤]، ومن مؤلفاته فى علم الأدب: ففى أدب الترجمة ألف كتاب " سقيئق النعمان فى حـقائق النعـمان فى مناقب الأمـام أبى حنيـفة[٥] " وفى أدب المواعظ أنتج كـتاب "نصائح الكبار" وكـتاب "نصائح الصغار" والرسـالة الناصحة[٦]، وله فى أدب المواعظ كتـاب "الكلم النوابغ فى المواعظ" و"أطواق الذهب فى المواعظ"[٧] ويقول فى خطبـته

---

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، ص ٣٢٨ .
(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٣، ص ٩٥ .
(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٩٤٥ .
(٤) ياقوت الحمـوى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٨٩، أطواق الذهب فى المواعظ والخطب، تحـقيق وشرح وتعليق أسماء أبو بكر محمـد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ص ٣ .
(٥) حاجى خليفة:كشف الظنون، مج٢، ص ١٨٣٧ .
(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٨: ١٦٩ .
(٧) ياقوت: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٤ .

(المقدمة) اللهم إنى أحمدك على ما أزللت إلى من نعمتك، وعلى ما أزلت عنى من نقمتك[١] .

وبمؤلفاته هذه صار كما قال ابن القفطى[٢] " علامة الأدب، ونسابة العرب، أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائه رحال الرجال، وتحدى باسمه مطايا الآمال" .

هذه المؤلفات الأدبية التى جعلت من خوارزم مكانا خصبا مليئا بالحياة الأدبية والأدباء[٣]، حيث صار هناك تلاميذ أدباء لهذا العالم الأديب، أثروا فى الحياة الفكرية والأدبية فى هذا العصر، ومنهم البقالى المتوفى ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، وكان إماما فى الأدب، وحجة فى لسان العرب، من مؤلفاته " كتاب منازل العرب ومياهها"[٤].

والأديب الموفق ابن احمد بن محمد الملكى، أبو المؤيد ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، وهو أديب فاضل له معرفه بالفقه والأدب، وهو أستاذ ناصر بن عبد السيد من المتوفى ٦١٠هـ / ١٢١٣م، صاحب "المغرب"[٥] حتى صار ناصر بن عبد السيد من أدباء عصره، كما كان له معرفة تامة بأنواع الأدب[٦]، وكان من رؤوس المعتزلة، وله معرفة تامة بالعربية، واللغة والشعر، له تصانيف فى الأدب[٧].

ولقدألف الزمخشرى مجموعة من الكتب فى الأدب الخالص "شعرا ونثرا"[٨] نذكرها هنا فى نهاية حديثنا عن الأدب بعلمى الشعر والنثر، ومن هذه المؤلفات: "ربيع الأبرار وفصوص الأخبار"[٩]، وكتاب "شافى العى من كلام الشافعى" و"ديوان التمثيل"[١٠] و"ديوان خطب" و"ديوان رسائل" ، و"ديوان شعر"[١١].

---

(١) الزمخشرى: أطواق الذهب، ص ٢٩ .
(٢) ابن القفطى: أنباه الرواة، ج٣، ص ٢٦٦ .
(٣) مصطفى الصاوى: منهج الزمخشرى، ص ٥١ .
(٤) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص ٢١٥ .
(٥) القرشى الحنفى: الجواهر المغية، ج٣، ص ٥٢٣ .
(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ٣٦٩ .
(٧) الذهبى: تاريخ الإسلام، مج١٨، القسم الأول، وفيات (٦٠١ - ٦١٠ هـ)، ص ٤١٤ .
(٨) مصطفى الصاوى: منهج الزمخشرى، ص ٥٠ .
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٨، الزركلى: الأعلام، ج٨، ص ٥٥ .
(١٠) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، ج٤، ص ١١٩ .
(١١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٤، ٤٩٥ .

هكذا كان الإنتاج الأدبى أكثر العلوم السائدة فى إقليم خوار زم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، مما كان له أثر بالغ فى حماية اللغة العربية والإسلام، وهذا ليس غريبا على علماء وأدباء خوارزم، الذين كان لهم الفضل الأكبر فى حماية الإسلام .

هـ - علم الشعر:

إن الشعر "فن منظوم" كان من أبرز ما تحتويه الآداب العربية، ويقول " ابن خلدون[١] فى ذلك "إذا أريد حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف" .

ويقول الناظمى العروضى السمرقندى[٢] "الشعر صناعة بها الشاعر يؤلف المقدمات الموهمة، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيرا والكبير صغيرا، ويرد الحسن فى زى القبيح، ويجلو القبيح فى صورة الحسن" .

ازدهر الشعر العربى فى خوارزم إلى جانب الشعر الفارسى منذ بداية انتشار اللغة العربية، وظهر ذلك منذ أيام الوليد بن عبد الملك، وفى عصر الدولة العباسية، وعصر الدويلات الميتقلة، خاصة العصرين السلجوقى والخوارزمى .

ويقول الناظمى[٣] انه لاغنى للملك عن الشاعر المجيد يخلد اسمه، ويبقى ذكره فى الدواوين والكتب لأن الملك – السلطان – إذا انزل به القضاء لم يبق من جيشه وماله وخزائنه شيء ولكن يبقى اسمه خالدا لشعر الشعراء .

ولذلك نجد أن السلاطين السلاجقة والخوارزميين كانوا يشجعون الشعراء، ويقربونهم وكان آل سلجوق جميعا يحبون الشعر[٤].

وقد أفرد الباخرزى بابا بعنوان " شعراء خوارزم " نذكر منهم الشاعر على بن أحمد البخارى، ويقيل الباخرزى: رأيت له فى صاحب الوزير السلجوقى نظام الملك قصيدة مطلعها:

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٢٩٥ .
(٢) جهار مقالة: المقالة الثانية، ص ٣٤ .
(٣) جهار مقالة: الحكاية الأولى، ص ٢٣٥ .
(٤) النظامى العروضى، نفسه، الحكاية السادسة، ص ٥١ .

زاد الإلـه نظـام الملـك مـــــولانـا فى العـز عـزا وفى التـمكين أمكانا
وحـــاطه وتـولاه برحـــمـــتـــه وزاده أعـداءه حـــزنا وخـــذلانا
لئن طغـى الماء فى أوطاننا وغـدت جـدرانـهـا بقـضـاء الله غـدرانا
فـــالله عـــوضنا مـن رأفـــتـــه أبا عـلى نـظام الملـك مـــولانا[1]

والباخرزى لم يذكـر تاريخ مولد هذا الشاعر ولا وفاته، ولكن يتـضح من شعره، انه كان مـعاصرا للوزير أبو على نـظام الملك ت٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، ولذلك فهو شـاعر خوارزمى فى العصر السلجوقى:

وهنا شاعر أخـر ذكره الباخرزى[2] وهو الحسن بن المظفر النيـسابورى مدح نظام الملك، وهو بخوارزم، قال:

الآن صح من الـزمـان ضـمـان وأتى من الـقـدر المخـرف أمـان
قـالـوا:خـوارزم انطوى إقـبـالـهـا وأصـابهـا الأدبار والخـذلان
كـــذبوا وحـق الله فـــهى بـدولة ملك المظفـر لـلسـعـود قـران
جـذب الملوك من النـواحى نحـوها ملـك الورى تاج العـلا السلـطان
خـفق اللـواء بهـا الناظـمى الذى منه أحـشـاء العـدا خـفـقـان

وللحسن بن المظفر، كـتاب "ديوان شعر" مجلدتان، كـتاب، "ديوان رسائله"[3] ومن شعراء الفـترة: على بن محمـد بن على بن أحمد بن مروان العـمرانى الخوارزمى، المتوفـى سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م، وله شعـر حسن، فمـن قوله: فى مدح رسـول الله ﷺ:

هدى إلـى دين إبراهـيم أمـــتـــه وكلهم بعقال الشعر الشرك معقول
وكل أصـحـابه به أهوى وأمنحـهم ودى، ومبغضهم فى الدين مدخول
وصاحب المصطفى فى الغار يتـبعه وهو الذى مـاله فى الله مبـذول[4]

(١) الباخرزى: دمية القصر وعصره أهل العصر، ج٢، ص ٧١ .
(٢) الباخرزى: دمية القصر، ج٢، ص ٣٠٠: ٣٠١ .
(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٣، ص ٩٥ .
(٤) ياقوت الحموى: نفسه، مج٤، ترجمة ٦٥٣، ص ٣١٩، ٣٢٠ .

كما ذكر عماد الأصفهانى[١]: خطيب خوارزم فى العصر الخوارزمى الموفق بن أحمد المتوفى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، وله فى خطبة العيد:

أملبس البيت أستارا محاسنها قلبى ظواهرها حتى بواطنها

الله البسه من فضلك خلعا بياء بيثلى لا بتلى محاسنها

وله قصيدة فى مدح خوارزمشاه:

وبسطت عدلك بسط كفك بالندى فكفت كف المعتدى والمجتذى

وللموفق ديوان اسمه "ديوان الموفق بن أحمد"[٢].

ومن شعراء العصر الخوارزمى أيضا: ناصر بن عبد السيد أبو الفتوح الخوارزمى الحنفى المطرزى المتوفى ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م وكان له معرفة تامة بالشعر، وله شعر كثير[٣] .

منه شعر لنفسه عن تعففه، وبعده عن الشهوات والملذات يقول:

وإنى لأستحى من المجد أن أرى حليف غوان أو أليف أغانى[٤]

ومن اليعراء المتأخرين: القاسم بن الحسين بن محمد بن أبو محمد الخوارزمى، ت ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م وقد فاق نظم الشعر، ومن شعره:

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح لا تأملوا عند الكرام سماحا

إن الكرام بأسرهم قد اغلقوا باب السماح وضيعوا المفتاحا[٥]

ومن مؤلفاته الشعرية شرح ديوان شعر تزيد أبياته على ثلاثة ألاف بيت لأبى العلاء أحمد عبد الله المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٧٥ م[٦]، المسمى "سقط الزند" والسقط ما يسقط من النار عند القدح وإنما سمى هذا المدون بذلك لأنه مما أنشأه فى شبابه

---

(١) الأصفهانى: الجريدة، ج٣، ص ١٧٣، ١٧٤ .

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٨١٥ .

(٣) الذهبى: تاريخ الأسلام، مج١٨، القسم الأول، وفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ، ص ٤١٤ .

(٤) المطرزى: المصباح فى النحو، مقدمة المحقق، ص ٤ .

(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ٥٨٢ .

(٦) أبى العلاء أحمد عبد الله المعرى: ولد بمعرة النعمان ببلاد الشام، رحل إلى بغداد، وأقام بها فترة، ثم رجع إلى بلده إلى أن مات، وكان عالما باللغة والنحو، جيد الشعر، شهرته تغنى عن صفته . ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج١، ص ٢٩٦، ٢٩٧ .

فشبه شعره بالنار وطبعه بالزند الذى يقدح به النار وجعله سقطا لأنه أول ما يخرج من الزند، وهذا الشعر أول ما سمح به طبعه فى زيق شبابه فسماه سقط الزند تجوزا واستعارة والوضوء فى عشرين كراسة، وسماه الخوارزمى بعد شرحه "ضرم السقط"[١] وله كتاب "عجالة السفر فى الشعر "[٢] .

ومن شعراء خوارزم وأدبائه السكاكى الخوارزمى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م وكان عالما[٣] فى الشعر متفننا فى علوم شتى، وأحد أفاضل العصر الذين سارت بذكراهم الركبان، صنف مفتاح العلوم فى أثنى عشر علما أحسن فيه كل الإحسان، وله غير ذلك[٤] .

ومن شعراء خوارزم فى العصر الخوارزمى أيضا: الموفق بين محمد بن الحسين ابن أبى سعيد بن محمد بن على المؤيد، ت ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م . كان شاعرا حسن الشعر والإنشاء، عالم بالأدب[٥].

لقد فصلنا علم الشعر عن علم النثر وفى ذلك يقول ابن خلدون[٦]" كل واحد من الفنين يشتمل على الفنون ومذاهب فى الكلام، فأما الشعر فيه المدح والشجاعة والرثاء، وأما النثر: فمنه السجع وهو الذى يؤتى به قطعا قطعا ويلتزم فيه أو فى كل كلمتين منه قافية واحدة تسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذى يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقيد بقافية ولا غيرها، ويستعمل فى الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم" .

و - علم النثر:

كان الشعر يشغل مكانه مهمة بين علوم اللسان العربى السائدة فى إقليم خوارزم . . . إلا أنه كان التقدير والإجلال للكلام المنثور، إلى جانب تقدير الشعر، وكانت ملكة الخطابة تعتبر شيئا آخر مخالفا للملكة الشعرية[٧] .

---

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٩٩٢، ٩٩٣ .
(٢) ياقوت الحموى: نفسه، مج٤، ص ٥٩٢ .
(٣) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج٣، ص ٦٦٢، ٦٢٣ .
(٤) ياقوت الحموى: نفسه، مج٥، ص ٦٤٧، ٦٤٨ .
(٥) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٥٢٤ .
(٦) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٣٢٢ .
(٧) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٤٤ .

ولقد زاد الإسلام ملكة الخطابة بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من مجاراة أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية، وكانت الخطابة أوسع مجالا لهذا الاقتباس من الشعر[١] وكانت طريقة كتابة الرسائل مجالا للتمرين على إظهار صورة البلاغة وأساليبها[٢]، وصورة البلاغة هنا كما يقول ابن خلدون[٣] "مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه" ويقول ابن خلدون أيضا[٤]: إن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هى فى الألفاظ لا فى المعانى.

ولقد ظهرت وتطورت دواوين الرسائل ودواوين الإنشاء فى هذين العصرين، وعلينا الآن أن نوضح النتاج العلمى لهذا العلم .

ومن الأدباء فى علم النثر: الزمخشرى المتوفى ٥٨٣ هـ/ ١١٤٣م ويظهر ذلك جليا من رسائله وخطاباته، ومن إنشائه ما كتب به إلى حافظ الإسكندرية أبى طاهر السلفى جوابا عن كتاب كتبة إليه يستجيزه به[٥]، فى مسموعاته ومصنفاته[٦]، فرد عليه الزمخشرى .

"ما مثلى من أعلام العلماء، ألا كمثل السهم مع مصابيح السهام، والجهام الصغر من الرهام مع الغوادى الغامرة للقيعان والأكام، والسكيت المخلف مع خيل السباق، والبغاث مع الطير العناق، وما التلقيب بالعلامة، إلا شبه الرقم والعلامة، والعلم مدينة أحد أبوابها الدراية، والثانى الرواية، وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة، ظلى فيها أقلص من ظل حصاة، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة، قريبة الإسناد لم تستند إلى علماء نحارير، ولا إلى أعلام مشاهير، وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها، وبرض ما ةيبل شفاها " . . . . . إلى أن قال: ولا يغرنكم قول فلان وفلان فى . . . وعدد جماعة من الشعراء اثنوا عليه ومدحوه، ثم قال: فإن ذلك اعتزازا منهم بالظاهر المموه، وجهل بالباطن المشوه، ولعل الذى غرهم منى ما رأوا من حسن النصح للمسلمين، وبلوغ الشفقة على المستفيدين، وقطع المطامع، وإفادة المبار والصنائع عليهم، وعزة النفس والربء بها عن

(١) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص ١١٥ .
(٢) آدم متز: المصدر السابق، ص ٤٤٤ .
(٣) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٣١٣ .
(٤) ابن خلدون: نفسه، مج٣، ص ٣٤٤ .
(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٣.
(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٧٠ .

الإسفاف للدنيات، والإقبال على خويصتى، والإعراض عما لا يعنينى فجللت فى عيونهم، وغلطوا فى ونسبونى إلى ما لست منه من قبيل ولا دبير . . . . إلخ، والكتاب طويل اقتصرنا منه على ذلك[١] .

هذا هو الزمخشرى المفسر والمحدث والفقيه، المتصوف، الموحد بالله، اللغوى النحوى الأديب الشاعر .

لقد كان هذا العالم ملما بجميع العلوم النقلية (الشرعية والأدبية)، وتخرج على يديه علماء وأدباء ولغوين ذكرناهم فى مواضعهم، ومن تلاميذه، محمد بن أبى القاسم بايجوك، أبو الفضل البقالى الخوارزمى، النحوى الأديب، زين المشايخ، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م، أخذ العربية عن الزمخشرى، وكان جم الفائدة وله يد فى الترسل ونقد الشعر[٢].

على أن أشهر الأدباء فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى الذين أثروا فى علم النثر بالرسائل والخطب البليغة هو الرشيد الوطواط وسوف يأتى الحديث عنه، أما سبب ذكره فى هذا العلم مع أنه كان شاعرا وأديبا ونحويا ولغويا، حيث أنه إستغل علمه وطوره لإفادة علم النثر فهذا الأصفهانى[٣]: يقول " هو محمد بن محمد بن عبد الجليل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، من أهل بلخ، ومقامه خوارزم، وهو كاتب الحضرة الخوارزمشاهية، وله براعة وبلاغة وصناعة تامة فى النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب " .

ويقول السيوطى[٥]: طار فى الأفاق صيته، وسار فى الأقاليم ذكره، وكان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من بحر آخر، ويمليها معا .

وبذلك فقد لمع فى قول الشعر بالعربية والفارسية، وكان يزاوج بين هاتين اللغتين أحيانا فى القصيدة الواحدة .

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٣٩٣، ٣٩٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٧٠، ١٧١ .

(٢) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص ٢١٥ .

(٣) عماد الدين الأصفهانى: جريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص ١٧٥ .

(٤) ياقوت: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٣١ .

(٥) بغية الوعاة، ج١، ص ٢٢٦ .

ومن مصنفـاته: حدائق السحر فى دقـائق الشعر باللغـة الفارسية ألفـه لأبى المظفر آتسـز خوارزمشـاه (٥٢١ - ٥٥١ هـ / ١١٢٧ - ١١٥٦ م)[١]، وله من الدواوين أيضا "ديوان شعـر وديوان رسائل بالعربى، وديوان رسـائل فارسى[٢]. وهذه الرسائل بعنوان "عمدة البلغاء وعدة الفـصحاء"، وهى عبارة عن ٢٥ خطابا بالعربية ومثـلها بالفارسية، ٢٥ قصيـدة بالعربية ومثلهـا بالفارسية، وطبعت فى القـاهرة سنة ١٣١٥ هـ فى جزءان: الأول بعنوان: عرائس الخواطر ونفائس النوادر، والثانى بعنوان أبكار الأفكار فى الرسائل والأشعار[٣]، وهذا الأخير مـختصر على أربعة أقـسام أورد فى الأول تسع رسائل وفى الثانى قصائد وكذا فى الثالث والرابع لكن الأخيرين بالفارسية[٤] .

وشرح كلمات الخلفاء الراشدين، مع مقدمة بالفارسية[٥]، وسماهم "تحفة الصديق من كـلام أبى بكر الصديق"، "وفـضل الخطاب فى كـلام عمـر بن الخطاب"، "وأنس اللهـفان فـى كلام عـثـمان بن عـفـان"، و"مطلوب كل طالب من كـلام على بن أبى طالب"[٦].

ومن جملة نثره العـربى، ودوره الأدبى من رسالة أنشأها إلى أميـر المؤمنين المقتفى ت سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م وهى عن خوارزمشـاه آتسز يشير فيـها بالرضا عن السلطان السلجوقى محمود بن محمد بن ملك شاه[٧] .

وله رساله إلى الزمخشرى يستجيزه وقد أجازه فيها فيقول[٨]: "أن حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فـوائده، وأكرم من أن تستثـقل وطأة طالب لعوائده، ومع هذا أرجو إشارة تصدر من مجلسة المحروس أما بخطة الشريف، فإن فى ذلك شرفا لى، مدى الدهر والأيام، وفـخرا يبقى على مـر الشهور والأعوام، وإمـا على لسان من يوثق بصدق مقالته، ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين، فى سلك خدمته والراتعين فى رياض نعمته، ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب[٩] .

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٣٠، بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص ١٤٣ .
(٢) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص ٢٢٦ .
(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص ١٤٣ .
(٤) حاجى خليـفة: كشف الظـنون، مج١، ص ٤، لمزيد من التفاصـيل عن مؤلفاتـه العلمية راجع الهـامة مفتاح: جغرافيا ى تاريخى بلخ وجيحون، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٥) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص ١٤٣ .
(٦) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٣٠، ٤٣١ .
(٧) الأصفهانى: الجريدة، ج٢، ص ١٧٦ .
(٨) الصاوى: منهج الزمخشرى، ص ٤٨ .
(٩) ياقوت الحموى: المصدر السابق، ص ٤٣١، ٤٣٢، الصاوى: نفسه، ص ٤٨.

إن هذه الرسالة البليغة إن دلت على شيء فإنها تدل على ازدهار فن الخطابة والنثر، كما تدل على اقبال الأدباء على العلم فى شتى المجالات العلمية سواء كانت نقلية أو عقلية .

ولقد طالع الأصفهانى مصنفا من قصائده العربية والفارسية، كما طالع رسائله وأطلب فى ذكر بعض رسائله[١].

وكان الرشيد الوطواط شاعرا ماهرا، وله أشعار بالعربية والفارسية، ولكن كما قلنا ذكرناه فى علم النثر لإسهاماته فى الرسائل والخطابات البليغة، ومن شعره فى مدح العلم وعلومه وتشجيعه للإقبال على العلم، منها:

إذا ما شئت أن تحيا سعيدا وتنجو فى الحساب من الخصوم

فلا تصحب سوى الأخيار وأصرف حياتك فى مدارسة العلوم[٢]

ومن أشعاره العربية أيضا: قصيدة فى مدح الإمام المقتفى لأمر الله (٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م) أولها:

يمين أمير المؤمنين سحاب ورأى أمير المؤمنين شهاب[٣]

وبذلك يكون الرشيد الوطواط قد أسهم إسهامات بالغة فى هذين العلمين – الشعر والنثر، ولم يبلغه أحد مثله قط فى هذين العصرين .

وبعد الرشيد الوطواط بفترة ظهر أدباء فى علم النثر، ولكن لم يكن لهم نشاطات بقدر الوطواط أخرهم: القاسم بن الحسين الخوارزمى المتوفى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م الذى أخذ العربية عن ناصر بن عبد السيد المطرزى المتوفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م[٤]، ولقد لقيه ياقوت الحموى عندما زار خوارزم ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ونزله فى بيته، ويول ياقوت فيه، برع فى علم الأدب، وفاق فى نظم الشعر ونثر الخطب، فهو إنسان عين الزمان، وغرة جبهة الأوان[٥]، ولقد أشرنا إليه علم الشعر، وذكرنا جزءا من شعره، وإنما ذكرناه فى علم النثر، لأن له رسائل بليغة ذكر بعضها ياقوت الحموى منها رسالة

(١) الأصفهانى جريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص ١٧٦: ١٩٣ .
(٢) ياقوت الحموى معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٣٥ .
(٣) الأصفهانى جريدة القصر، ج٢، ص ١٩٣ .
(٤) القرشى الحنفى، الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٧٠٣ .
(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ٥٨٢ .

إلى دار الخلافة والخليفة الناصر لدين الـله المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ويقول فيها: رايات مولانا الصـوام القوام، أميـر المؤمنين وإمام المتقـين، وخليفة رب العـالمين، الإمام الذى ليس للتابعين غيـره إمام، ولا دون عتبة متمسك واعـتصام، هى التى لم أزل أدعوا الله أن يعقد بعذباتها النصر، ويجعل من أشـياعها الذئب والنسر، تسايرها الآمال، وتحل حيثما رفعت الآجال، ويحتفظ بها الجدود، ويرفرف عليها السعود، وهذا دعاء لو سكت كفـيته . . . . ثم قـال: وأسأل الله تعالى أن يديم أكناف العـرصة الفيـحاء مرتعـا للعزة القعساء، إن شاء الله تعالى(١).

كـمـا تطور فن آخـر من فنون الأدب العـربى فـى العـصـر السلجـوقى، هو فن المقامة(٢).

وأول من طور المقامة فى المواعظ فى هذا العصـر هو القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحـريرى (٤٤٦ - ٥١٦ هـ / ١٠٥٤ - ١١٢٢ م) وهو أحد أئمة الأدب واللغة، فاق أهل زمانه بالذكاء والفـصاحة، وأنشأ المقامات، وسار فى الأفـاق ذكرها وانتشرت، وكتبت بها النسخ الكثيرة المتعدد(٣).

ومن أدباء خوارزم الذين الفوا فى المقـامات خلال العصر السلجوقى، مـحمود بن عمر الزمخشـرى ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م، وله " مقامات فى المواعظ "(٤)، وتدور هذه المقامات على الوعظ وليس فيهـا روا، ولا بطل، بل يبدؤها بخطاب نفسه، وما زال يعظ مذكرا بالآخرة، رادعا النفس عن شهواتها للفوز بنعيم الله ورضوانه(٥) .

وهذه المقامـات عبارة عن خـمسين مقـامة، منها مـقامة العـبادة، مقامـة اجتناب الظلم(٦)، ويبدو أنه لم يكن فى ذهنه أن يقلد مـقامات الحريرى، فقد كان يـقول مادحا مقامات الحريرى .

---

(١) ياقوت الحموى: المصدر السابق، مج٤، ص ٥٨٨: ٥٨٩ .

(٢) المقامة: الراجح أن هذه الكـلمة اسم مكان من " أقام " والمعنى أنها موضع للإقـامة، ثم النقل من هذا المعنى، فأصبحت داله على حـديث شخص ما فى المجلس سواء أكان قائما أم جـالسا، شوقى ضيف: فنون الأدب العربى (الفن القـصصى) المقامة، ط٧، دار المعارف، الـقاهرة، بدون، ص ٧: ٨، مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص ٣٩٤.

(٣) ابن القفطى: أنباه الرواه، ج٣، ص ٢٣: ٢٤ .

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٤، الزركلى: الأعلام، ج٨، ص ٥٥ .

(٥) شوقى ضيف: المقامة، ص ٧٧ .

(٦) الزمخشرى: أطواق الذهب، ص ١٢ .

أقـــــــــسم بـالـلــه وآيـاتـه إن الحـــــريـرى حـــــرى بـأن

ومـشـــعـــر الحج ومـــيـــقـــاته نكتـب بالتـبـــر مـقـامـــاته[1]

ومن علماء خوارزم فى العصر الخوارزمى، الذين لهم أياد بيضاء فى شرح المقامات وغريبهـا، ناصر بن عبد السيـد بن على المطرزى النحوى، ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م[2]، وسماه " الإيضـاح " ذكر فى أوله علم المعانى والبـيان وقواعد البديع، أولـه الحمد لله المحمود على جميع الآلاء .....إلخ[3] .

كما شرح المقامات فى العصر الخـوارزمى أيضا: صدر الأفاضل القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى (٥٥٥ - ٦١٧ هـ / ١١٦٠ - ١٢٢٠ م) وسماه التوضيح[4] .

هكذا كانت الـعلوم الأدبية وعلماؤها مـن اللغويين والنحاة، والـبلغاء، والأدباء، والشعراء، دليلا على تواصل الإنتاج العلمى والأدبى فى إقليم خوارزم خلال العصرين، فقد ظهر عدد من العلماء والأدباء فى العصر السلجوقى، كان لهم تأثير عميق فى تواصل هذا الإنتاج فى العصر الخوارزمى .

ولقد كان علماء اللغة والنحو والأدب والشعر، هم أنفسهم علماء التفسير والحديث والفقه، مما يدل عـلى أن العلوم الأدبية ارتبطت ارتباطا وثيقـا بالعلوم الشرعية، فـالمفسر لابد أن يكون على إلمام باللغـة والنحو والأدب، وكذلك المحـدث والفقيه، وغـيره، إذن كل هذه العلوم تعتمد على فهم اللغة العربية بعلومها المختلفة .

* * * * * *

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٨٧، شوقى ضيف: المقامة، ص ٧٧.
(٢) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص ٣١١، القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٥٢٨ .
(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٨٩ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ٥٩١ . السيوطى: بغية الوعية، ج٢، ص ٢٥٢: ٢٥٣ .

ثانيا: العلوم العقلية

******

كان الإسلام صاحب الفضل الأكبر على العلوم العقلية، فبعد أن أقبل الناس على تعلم العلوم الدينية والأدبية، واعتنى العلماء بترجمة كتب الفلسفة اليونانية القديمة وشرحها، بل عمدوا إلى الكتابة فى تلك الموضوعات فاشتغل الناس بالفلسفة والطب والتنجيم والفلك وغيره من هذه العلوم العقلية، التى انتشرت وتطورت عن طريق المناقشات والمحاورات التى كانت تدور فى المعاهد العلمية، هذه المعاهد التى أخرجت الطبيب والكيميائى والرياضى والفلكى والمنجم والفيلسوف والمتكلم والمؤرخ وغيرهم من العلماء الذين ساهموا بمؤلفاتهم العلمية فى هذه العلوم العقلية فى هذا التطور الهائل الذى شهده إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

أ - علم الطب:

الطب صناعة تحفظ الصحة فى بدن الإنسان حاصلة وتستردها زايلة وبها يزدان الجسم، بطول الشعر وصفاء البشرة وطيب الرائحة والنشاط(١).

ويعرف ابن أبى أصيبعة(٢) صناعة الطب فيقول: "إن صناعة الطب من أشرف الصنائع وأربح البضائع، وقد ورد تفصيلها فى الكت الإلهية والأوامر الشرعية، حيث جعل علم الأبدان قرينًا بعلم الأديان، قال رسول الله ﷺ: «لكل داء دواء»(٣)، وهذا حديث جامع للطب.

ويقول ابن خلدون(٤): هذه الصناعة ضرورية فى المدن والأمصار الإسلامية، لما عرف من فائدتها ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البراء من أدوائهم، واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية.

ومن الأطباء الأوائل فى العصر السلجوقى الذين جاءوا إلى إقليم خوارزم وأقاموا فيه أبو مضر الأصبهانى، المتوفى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وقد سبق التعريف به - كان

---

(١) النظامى العروضى: جهار مقاله، المقالة الرابعة، ص٧٤.
(٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج١، ص٧.
(٣) صحيح مسلم: مج٧،حديث رقم ٩٦/ ٢٢٠٤، ص٤٤٧.
(٤) ابن خلدون: المقدمة:، مج٢، ص٣٣٣.

يلقب بفريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه، وكان إلى جانب علم اللغة والنحو، كان عالمًا فى الطب، يضرب به المثل[١].

وتطور علم الطب فى جميع المدن والأقاليم الإسلامية، ومنه إقليم خوارزم، ولقد كانت الحكومات فى العصر الإسلامى تمنح شهادات رسمية للأطباء الذين يرون فيهم الكفاءة للتطبيب، قبل بدئهم بمزاولة العمل[٢]، وكان على من يريد مزاولة الطب أن يكون على علم بعدد من المؤلفات الطبية ذكرها النظامى العروضى، حيث ذكر عددا من هذه المؤلفات فى علم الطب فيقول[٣]: "وعلى الطبيب أن يطلع فى علم الطب على عدد من المؤلفات الطبية، مثل: الذخيرة الخوارزمشاهية فى الطب، وهى بالفارسية، اثنى عشر مجلدًا ألفه زين الدين (شرف الدين) أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن بن أحمد بن محمد الحسينى الجرجانى المتوفى بمرو سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، ويقول فى مقدمة كتابه أنه وضعه باسم قطب الدين محمد بن خوارزمشاه (٤٩٠هـ - ٥٢١هـ) (١٠٩٦ - ١١٢٧م)[٤]، مؤسس الأسرة الخوارزمية فى ٥٠٤هـ/ ١١١٠م.

وله كتاب الأغراض فى الطب فارسى مجلدان[٥]، وهو كتاب فى علم الطب باللغة الفارسية ألفه ولخصه، عن كتابه "ذخيرة خوارزمشاه" حسب أمر أحمد مجد الدين أبى محمد الصاحب بن محمد البخارى وزير آتسز خوارزمشاه (٥٢١ - ٥٥١هـ/ ١١٢٧ - ١١٥٦م)[٦] مرتب على ست وعشرين مقالة فى كل منها أبواب كثيرة، أوله أما بعد حمد الله سبحانه وتعالى. . .إلخ، ذكر فيه أنه ألفه مختصرًا باسم الأغراض الطبية والمباحث العلانية أهداه إلى نصرة الدين آتسز محمد خوارزمشاه[٧]، وله أيضًا «خفى علانى" كتاب مختصر فى الطب باللغة الفارسية ألفه، ويقول فى المدقمة أنه وضعه كمختصر لكتابه "ذخيرة خوارزمشاهى" بأمر من آتسز[٨]. وله كتاب يادكار فى الطب

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٨٧.

(٢) على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٢.

(٣) النظامى العروضى: جهار مقاله، المقالة الرابعة، الحكاية الأولى، ص٧٦.

(٤) النظامى العروضى: نفسه، حواشى المقالة الرابعة، حاشية ١٠، ص١٦٦.

(٥) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج٣، ص٤٨.

(٦) النظامى العروضى: جهار مقاله، حواشى المقالة الرابعة، حاشية رقم٦، ص١٦٤.

(٧) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١٣٠.

(٨) النظامى العروضى: المصدر السابق، حواشى المقالة الرابعة، حاشيةرقم ١٤، ص١٦٧.

الفارسى مـجلد ألفه لخوارزمشـاه أيضًا[١]. وهو كتاب مخـتصر فى علم الطب[٢]، وله "زبدة الطب" وهو مجلد يشتمل على حقائق الأبدان الظاهرة ودقائقها الباطنة[٣].

ويقول ياقـوت الحموى[٤]: أنه كان عـارفا بالطب جدًا ألف فـيه تصـانيف حسنة مرغوب فيها بالعربية والفارسية، انتقل إلى إقليم خوارزم وأقام به مدة ثم انتقل إلى مدينة مرو فأقام بها وكان من أفراد زمانه وتوفى بمرو سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م.

وبذلك يتضح أنه كـان للحضارة الفـارسية تأثيـرها الواضح على الحضارة العـربية وذلك لقرب هذه الحضارة من الحضارة العربية[٥].

ومن كل ما تقدم وضح جليًا أن حكام خـوارزم فى العصر السلجوقى والخوارزمى كانوا يقربون العلماء ويشجعونهم ويغدقـون عليهم الأموال، ولقد حرص أصحاب النفوذ والسلطان على ارتباط الحكماء والأطبـاء وانقطاعهم إلى قصورهم[٦]، والدليل على ذلك ما قاله ابن أبى أصيبعة[٧]. كان شرف الدين إسماعيل الطبيب فى خدمة السلطان قطب الدين محـمد خوارزمـشاه (٤٩٠ - ٥٢١هـ/ ١٠٩٦ - ١١٢٧م) وله من الأنعـام الوافر والمرتبة الرفيعة. وكان له مقرر على السلطان فى كل شهر ألف دينار، وكانت له معالجات بديعة وآثار حسنة فى صناعة الطب.

وكـانت نظرة الناس - آنذاك - إلى الأطبـاء ملؤهـا الجلال والإكـبـار إذ الطبـيب حـيمـذاك ينبـغى أن يكون ملمًـا بأصناف العلوم[٨]. مـثل فخـر الدين الرازى المتـوفى ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م الذى زار خـوارزم، حيث يقـول الذهبى: "كـان فخـر الدين الرازى شديد الحرص جدا فى العوم الـشرعية والحكمية، حاد الذهن، كثيـر البراعة، قوى النظر فى صناعـة الطب، وكان خوارزمـشاه عـلاء الدين محـمد (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م) يأتى إليه[٩]، ومن علماء خوارزم الذين جمعوا أصناف العلوم من اللغة والفقه والآداب والطب شهاب الدين الخيوقى المتوفى ٦١٨هـ/ ١٢٢١م[١٠].

---

(١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص٤٨.
(٢) النظامى العروضى: المصدر السابق، حواشى المقالة الرابعة، حاشية رقم١٥، ص١٦٧.
(٣) حاجى خليفة: المصدر السابق، مج٢، ص٦٥٢.
(٤) معجم البلدان، مج٢، ج٣، مادة جرجان، ص٤٥.
(٥) عامر النجار: فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، ط٣، دائرة المعارف، ١٩٩٤م، ص٨٠.
(٦) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص١٠٨.
(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج٣، ص٤٨.
(٨) محبوبة: نظام الملك، ص١٦٨.
(٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٨، القسم الأول، وفيات(٦٠١ - ٦١٠هـ)، ص٢٣٣.
(١٠) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص١٠٩.

ونستنتج مما سبق أن أكثر علماء العصرين لم يكتفوا بترجمة الكتب السابقة بل تخطوا ذلك إلى التأليف حيث عكف العلماء والأطباء على التأليف أكثر من الترجمة[١].

ب - علم الكيمياء:

هو علم ينظر فى المادة التى يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذى يوصل إلى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستمدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والشعر والبيض فضلاً عن المعادن ثم يشرح الأعمال التى يخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل[٢].

ويلخص هذا التعريف حاجى خليفة[٣] فيقول: هو علم يعرف به سلب الجواهر المعدنية وجلب خاصية جديدة لها.

هذا وقد أشار العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى المتوفى[٤] (٣٦٦هـ/ ١٩٧٦م) إلى أسماء عض الأجهزة والأدوات والآلات الكيميائية التى استخدمها علماء العرب والمسلمين فى إقليم خوارزم وغيرها من المدن والأقاليم الإسلامية فى علم الكيمياء ومن بين هذه الآلات.

الراط: وهو الذى يفرغ فيه الجسد المذاب من فضة أو ذهب ويسمى المسبكة وهى من حديد، ومن آلاتهم بوط أبريوط: وهى بوطقة مثقوبة من أسفلها توضع على أخرى ويجوز الوصل بينهما بطين ثم يذاب الجسد فى البوطقة ويسمى هذا الفعل الاستنزال.

إن الحديث عن دور علماء خوارزم فى مجال علم الكيمياء، يكاد يكون معدومًا، وذلك لأن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن علماء خوارزم فى هذا المجال.

ولقد أشارت المصادر إلى أن البيرونى من رواد علم الكيمياء[٥]، وله كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر، يتضمن الكلام فى الجواهر وأنواعها وما يتعلق بهذا المعنى[٦]. أوله

---

(١) محمد رجائى: صفحات من تاريخ الطب، ط١، نشرة الزهراء للأعلان العربى، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م، ص٦٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص١٩١.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٥٢٦.

(٤) الخوارزمى الكاتب: مفاتيح العلوم، ص١٤٦، عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص٢٢٣.

(٥) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص٢٢٧.

(٦) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص٣٠.

الحمد لله رب العالمين الذى لما توحد بالأزل والأبد[١] . . .إله. وقسم الكتاب إلى مقالتين الأولى فى الجواهر[٢]، تحدث فيها عن الياقوت وأشباه اليواقيت منها والماس، والسنباذج الذى يعاون الماس فى الصلابة والحل والجلاء، واللؤلؤ والمرجان، والزمرد وأصنافه، والفيروز، والعقيق، وما إلى ذلك من الأحجار الكريمة ونصف الكريمة، والكهرباء والمغناطيس[٣].

أما المقالة الثانية فى الفلزات[٤]: فقد استهلها بالزئبق ثم الذهب والفضة والنحاس والحديد والأسرب، وتحدث عن المركبات أو "الشبه المعمولات والممزوجات بالصفة"، وينهى الفلزات بالأسفيذ روى[٥] والبتروى[٦] والطاليقون[٧]. وبالكتاب ملحق لتبيان مناجم الجواهر والفلزات[٨].

ويمكن التعرف على خصائص الطريقة العلمية عند البيرونى وموقفه فى الكيمياء الهندية ومن علم الكيمياء بوجه عام من تحليل كتابه عن الهند[٩].

وعلى أية حال فإن البيرونى الخوارزمى كان له اليد الطولى فى هذا العصر فى تطور هذا العلم بما يخدم علم الطب، وذلك من خلال تجاربه الكيميائية، ودراسته للفلزات، والأحجار الكريمة والأعشاب والمركبات، مما كان له الأثر فى علم الصيدلة، هذا العلم الذى يبحث فى أصول الأدوية من حيث تركيبها ومعرفة خواصها الكيميائية والطبيعية[١٠]. وهو ما سوف نتحدث عنه فى علم الصيدلة.

---

(١) البيرونى: (أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى)ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م، الجماهر فى معرفة الجواهر، مكتبة المتنبى، القاهرة، بدون، ص١.

(٢) البيرونى: نفسه، ص ٣٢ : ٢٢٨.

(٣) يمنى طريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٥١.

(٤) البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ص ٢٢٨ : ٢٦٧.

(٥) الأسفيزوى: اسم فارسى معناه النحاس الأبيض ويسمى صفرا وذلك بالشبه أو لصفرته البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ص٢٦٤.

(٦) البتروى: نحاس كسرت حمرته بأسرب ألقى عليه حتى اختلط ومنه تفرع الهواوين والطناجير وإذا كان الملقى عليه شبها عليه الصفر ويسمى شبها مفرغا يعمل منه المنارات والمسارج. البيرونى: نفسه، ص٢٦٦.

(٧) الطاليقون: يقول البيرونى: يجئ ذكر الطاليقون فى الكتاب من غير إيضاح، ولم اتحققه، ولكنى سمعت أن العين تمرد وتفسد بالنظر فى مرآه معمولة من الطاليقو
ن، وقيل: أنه جنس من النحاس إلا أن الأوائل نسبوه من الأدوية الحادة السامة التى تضر باللحم والدم إذا خالطهما. البيرونى: نفسه، ص٢٦٧.

(٨) يمنى الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم، ص151152:.

(٩) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلم عند العرب، ص٢٠٠.

(١٠) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى، ص١١١.

ج - علم الصيدلة:

علم الصيدلة فرع من فروع الطب، وهو علم يبحث فيه عن تميز المتشابهات من أشكال النباتات من حيث إنها صينية أو هندية أو رومية وعن معرفة زمانها صيفية أم خريفية وعن تميز جيدها عن الردىء، وعن معرفة خواصها والغرض والفائدة منه ظاهر(١).

وبذلك كان علم الصيدلة فى بادئ الأمر تابع لعلم الطب، غير مستقل عنه إذ كان الطبيب فى الوقت نفسه صيدلانيا. وكان له أعوان يساعدونه فى علمه، فيجمعون له الأعشاب الطبيعية(٢)، إلا أن الاهتمام الكبير الذى لقيه إحياء العلوم وتقدمها من الخلفاء العباسيين، وما كان من تشجيعهم للقائمين بها وبخاصة فى علوم الصيدلة والطب، وبذلك تطور علم الصيدلة(٣).

إن الحديث عن دور علماء خوارزم فى مجال علم الصيدلة، يكاد يكون معدومًا، وذلك لأن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن علماء خوارزم فى هذا المجال.

ولقد أشارت المصادر إلى أبى الريحان البيرونى محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وله كتاب "الصيدلة فى الطب" استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائًا واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه، وقد رتبه على حروف العجم(٤).

وقد ألفه فى أواخر حياته ويعتبر هذا الكتاب ذخيرة علمية ومرجعًا هامًا فى مجال الصيدلة(٥).

وكان أسلوب البيرونى الذى أتبعه فى تأليف كتابه بالنسبة لوصف عقار فى أن يقوم بدراسته تحت اسمه العربى، ثم يبحث مرادفاته فى اللغات الأخرى، ثم يقوم أخيرا بتحديده(٦).

---

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٠٨٥.
(٢) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص٢٢١.
(٣) عبد العظيم حنفى صابر، وعبد الحليم منتصر: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، موجز تاريخ الصيدلة، ص,٣١٤
(٤) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء فى تاريخ الأطباء، ص٣٠.
(٥) عبد العظيم حنفى صابر، وعبد الحليم منتصر: الموجز، ص٤٠٢.
(٦) أحمد سعيد الدمرداش: سلسلة أعلام الاسلام٢، البيرونى محمد بن أحمد،ص٦١ : ٦٢.

وهكذا وجد الطب العربى فى الكيمياء والصيدلة غذاء، زاده حيوية وخصوبة وثراء[١] ومن هذا يتضح أن تطور علم الكيمياء والصيدلة ساعد فى تطور علم الطب.

د - علوم الرياضيات:

وتشتمل على ثلاثة علوم: الأول الحساب، والثانى الهندسة، والثالث المثلثات.

- علم الحساب:

ويعرفه النظامى العروضى[٢] "الحساب صناعة يعرف بها أحوال أنواع الأعداد وخصائص كل منها بذاته، ونسبة الأعداد إلى بعضها وتوالدها ثم فروع الحساب من تصنيف وتضعيف وضرب وقسمة وجمع وتفريق وجبر ومقابلة.

فالجبر والمقابلة إذا "صناعة من صناعات الحساب وتدبير حسن لاستخراج المسائل العويصة فى الوصايا والمواريث والمعاملات والمطارحات وسميت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر فى النقصانات والاستثناءات ومن المقابلة بالتشبيهات وإلقائها[٣].

وأول ومن كتب فى هذا الفن محمد بن موسى الخوارزمى[٤] المتوفى بعد سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، وكان مقربا من الخليفة المأمون ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م[٥] وألف كتابا سماه «الجبر والمقابلة»[٦]، ويرجع الفضل فى تسمية الجبر بهذا الاسم إلى هذا الرياضى الخوارزمى العظيم[٧].

والدافع الأساسى وراء ابتكار الخوارزمى للجبر هو علم الميراث الذى أطلق عليه ابن خلدون[٨] علم الفرائض وعرفه بأنه «صناعة حسابية فى تصحيح السهام لذوى الفروض فى الوراثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على وراثته أو

---

(١) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، ص١١٣.

(٢) جهاز مقالة: المقالة الثالثة، ص ٢٦،ـ لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٩٥، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٥٧٨، فاطمة محجوب الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، عدة مجلدات، دار الغد العربى، القاهرة، بدون، مج١٣، ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٣) الخوازمى: مفاتيح العلوم، ص ١١٦.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٩٨، عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٨٧.

(٥) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٤، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٦) ابن القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٨٨.

(٧) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٧.

(٨) ابن خلدون: المقدمة / مج ٣، ص ٩٩، حاجى خليفة كشف الظنون، مج٢، ص ١٢٤٤.

زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على كله أو كان فى الفريضة إقرار وإنكار من بعض الورثة دون بعض».

ولذلك فقد ابتدع محمد بن موسى الخوارزمى طرقا جبرية لتسهيل هذا العمل فكتب كتابا مشهورا[١] باسم «الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة»[٢].

لقد أشرنا إلى الخوارزمى الذى ظهر فى الفترات السابقة للعصر السلجوقى، لأن أعماله أصبحت مصدرا للمعرفة الرياضية فى الشرق والغرب لقرون عديدة[٣]،لكن حقيقة الأمر أن الأبحاث والدراسات الرياضية للمسلمين نضجت نضوجا كبيرا فيما تلى ذلك من القرون خاصة عصر البيرونى ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م فهو من أبرز علماء ومفكرى الإسلام فى علم الرياضيات فى هذه الفترة[٤].

وسوف نعرض للنتاج العلمى فى علم الرياضيات للبيرونى وغيره من علماء خوارزم فى العصرين، بعد أن نتعرف على بقية العلوم الرياضية.

- علم الهندسة:

هو صناعة يعرف بها أصول أوضاع الخطوط وأشكال السطوح المجسمات والنسبة الكلية بين المعايير وما يقدر بها ونسبة هذه إلى الأوضاع والأشكال[٥].

ويقول ابن خلدون[٦] «هذا العلم هو الناظر فى المقادير أما المتصلة كالخط والسطح والجسم أو المنفصلة كالأعداد وفيها يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كان مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان فى جهة ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل أن الأربعة المقادير المتناسبة ضرب الأول منهما فى الثالث كضرب الثانى فى الرابع وأمثال ذلك».

---

(١) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى علم الرياضيات، دار الاعتصام، بدون، ص ٣٤.
(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٤، ص ١٦٣.
(٣) الدفاع: نفسه، ص ٣٤.
(٤) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩١.
(٥) النظامى العروضى: جهاز مقالة، المقالة، المقالة الثالثة، ص ٦٢.
(٦) ابن خلدون: المقدمة: مج٣، ص ١٠١.

وهذه الصناعة تسمى باليونانية «جومطريا» وهى صناعة المساحة: وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة وفى الفارسية «اندازه» أع المقادير[١]. وقد اهتم علماء المسلمين بالهندسة اهتماما كبيرا. والخطوة الأولى التى اتخذها علماء المسلمين هى ترجمة كتاب إقليدس فى علم الهندسة وزاد على نظرياته، ويحتوى كتاب إقليدس على خمس عشرة مقالة، منها أربع مقالات فى السطوح الهندسية، ومقالة فى المقادير المتناسبة، وأخرى فى نسب السطوح، وثلاث مقالات فى العدد والتمثيل الهندسى، وخمس مقالات فى المجسمات[٢]. ونقل كتاب إقليدس لأول مرة إلى اللغة العربية فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور(١٣٦ - ١٥٧هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م)، وهوأول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية واليونانية والأعجمية بالعربية[٣].

وتطور علم الهندسة عن طريق هذه الترجمات إلى العربية، كما زادت مؤلفاتهم الهندسية، وخاصة فى بداية العصر السلجوقى على يد الرياضى الشهير البيرونى وسوف نعرض مؤلفاته.

- علم المثلثات:

ارتبط علم المثلثات لدى اليونانيين بعلم الفلك، كما قطع الهنود شوطا طويلا فى هذا العلم خاصة فيما يتعلق بقياس جيب زاوية المثلث[٤]. غير أنه يرجع الفضل فى وضع علم حساب المثلثات بطريقة منتظمة ومستقلة عن علم الفلك إلى بعض علماء العرب، وبفضلهم اعتبر علم المثلثات علما عربيا[٥]. هذه الطريقة المنتظمة كان لها أكبر الأثر فى تطور العلوم الرياضية بصفة عامة.

والفكرة الأساسية فى علم حساب المثلثات هى قياس المساحات الكبيرة والمساقط الطويلة بطريقة غير مباشرة، وكلمة علم حساب المثلثات فى جميع اللغات تعنى قياس الارتفاعات[٦].

---

(١) الخوازمى: مفاتح العلوم، ص ١١٧.

(٢) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، ص ٦٧، الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، ص ٥٣.

(٣) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٩.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق فى العصر البويهى: ص ٣٧٢.

(٥) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم، ص ٦٩.

(٦) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، ص ٤٦.

وبصفة عامة لقد تطورت العلوم الرياضية وتقدمت على أيدى العلماء المسلمين حتى جاء عصر البيرونى. وسوف نذكر كل مؤلفاته التى حصلنا عليها من المصادر فى علم الرياضيات، حيث شهد له العلماء فى أنواع الرياضيات والذى كان موضع احترام من قبل ملوك العصر والعصور اللاحقة.

وأهم هذه المؤلفات:

كتاب فى «الحساب» وشرح فيه الأرقام الهندسية شرحا وافيا، وهى الأرقام التى أتخذت أساسا للأرقام العربية(١).

كتاب «القانون المسعودى» المترجم، وهو كتاب يغطى على أثر كل كتاب صنف فى تنجيم أو حساب(٢) ويحدثنا البيرونى فى مقدمة المقالة الثالثة من القانون المسعودى قائلا:

«أن الصناعة إذا أريد إخراجها إلى الفعل بمزاولة الحساب فيها والأعداد المفتقرة إلى معرفة أوتار الدوائر، ولذلك سمى أهلها كتبها العلمية زيجات من الزيق الذى هو بالفارسية زه بمعنى الوتر، وسموا أنصاف الأوتار جيوبا، أن اسم الوتر بالهندية جيبا، ونصفه جيبارد، ولكن الهنود لم يستعلموا غير أنصاف الأوتار، وأوقعوا اسم لكل على النصف تخفيفا فى اللفظ(٣).

لذلك وجدنا البيرونى يهتم بالمسائل المتعلقة بجيب الزوايا وتقسيها واستخدام النسب المثلثية وإيجاد قيم لجيوب الزوايا المطلوبة(٤).

كذلك أمكن البيرونى أن يقسم الزواية إلى ثلاث أقسام متساوية(٥)، وله أيضا رسالة بحث فيها بعض المحاولات لتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية(٦).

كان البيرونى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م أول عالم رياضى فى التاريخ يستعمل النسب المثلثية، وفى مجال الهندسة نجد البيرونى يعالج الأشكال الهندسية المنتظمة، ويوجد

---

(١) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٨.
(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ١٢٦.
(٣) أحمد سعيد الدمرداش: سلسلة أعلام الإسلام (٢)، البيرونى أبو الريحان محمد بن أحمد، ص ١٣٠، عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩١.
(٤) عمر فروخ: المصدر السابق، ص ٤٩٢.
(٥) عمرو فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩٣.
(٦) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، ص ١٧٦.

أطوال الأضلاع عن طريق حل معادلات الدرجة الثانية والثالثة[١]. ووضع فى الهندسة حلولا لنظريات سميت فيما بعد باسمه[٢].

ويدين علم حساب المثلثات Trigonometry بوجود لرياضى العرب، فهم أول من أقامه علما مستقلا عن علم الفلك، بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده. وبفضل قوانين هذا العلم تقدمت بحوث الهندسة والمساحة والطبيعة. ولعل البيرونى هو أول رواد هذا الفرع من الرياضيات، فقد وضع التحليلات المثلثية الزوايا مكان المربعة الزوايا لبطليموس، وأدخل خطوط التماس، ووضع النسب الحسابية المثلثية على النحو الذى تعرف به اليوم[٣]. ومن خلال علم حساب المثلثات استطاع إيجاد وتر العشر فى الدائرة بعد أن توصل إلى المعادلة التالية:

وتر العشر= $\sqrt{\text{نق}٢+١/\ ٤\text{نق}٢\ -\ \text{نق}/\ ٢}$

وبافتراض نق=١

العشر= $\frac{\sqrt{٥-١}}{١}$ = ٠,٦١٨٣

، وتر العشر يقابل زاوية٣٦ْ

نصف وتر العشر يقابل ١٨ْ

وبما أنه يساوى ٠,٣٠٩١٥

فإن جيب١٨ْ= ٠,٣٠٩١٥ بالحساب المذكور[٤].

وفى علم الرياضيات فى العصر الخوارزمى كان العالم ظهير الدين أحمد بن إسماعيل التمرتاشى الخوارزمى الحنفى المتوفى فى حدود سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م وله فى علم الفرائض(علم الميراث) فرائض التمرتاشى[٥] هكذا كان علماء خوارزم، من مؤسسى علوم الرياضيات خلال العصور السابقة، ثم كان لهم تأثير فى تطور هذه العلوم فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى.

(١) فروخ: المصدر السابق، ص ٤٩٣.
(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان)، مج ٧، ج١٣، ص ١٦٨.
(٣) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، ص ٢٣٩.
(٤) أحمد سعيد الدمرداش: البيروى، ص ١٣٨.
(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٢٤٤ .

هـ - علم الفلك والتنجيم:

أطلق بن يوسف الخوارزمى[١] على علم الفلك اسم «علم الهيئة» وعرفه بأنه معرفة تراكيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض.

لقد ارتبط علم الفلك والتقويم بواقعهم المعاشى والاقتصادى والاجتماعى والدينى[٢]، كما كان لشغفهم الشديد بمراقبة النجوم والشمس والقمر وحركتها مما أدى إلى تقدم علم الفلك[٣]. ومما يدل على اهتمام الإسلام والمسلمين بمسألة النجوم والشمس والكواكب والفلك والتقويم، ما ورد فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦**﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣**﴾[٥].

كل ذلك أدى إلى اهتمام علماء المسلمين فى إقليم خوارزم وغيره إلى دراسة علم الفلك حرصا منهم على فهم الآيات القرآنية الكريمة. وأظهر علماء المسلمين بتشجيع من الخلفاء والأمراء والسلاطين عنايتهم بهذه العلوم بإقامة المراصد وتأليف المصنفات الفلكية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية[٦].

أما علم التنجيم«النجوم» فيعرفه حاجى خليفة[٧] «هو علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون والفساد بالتشكيلات الفلكية، وهى أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك».

---

(١) ابن يوسف الكاتب الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص ١٢٥، لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ١٠٥.

(٢) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٣٤.

(٣) على عبد الله الدفاع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٢٧.

(٤) سورة يونس: الآية: ٥، ٦.

(٥) سورة الأنبياء: الآية٣٣.

(٦) عمر فروخ: نفسه،ص ٢٣٦، الدفاع: نفسه، ص ١٦.

(٧) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٩٣٠.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾[١] ومن هذه الآية الكريمة ما يدل على أثر النجوم للاستدلال على الطرقات برا وبحرا .

أطلق النظامى العروضى[٢] على هذا العلم علم الأحكام وعرفه على أنه«علم من فروع العلم الطبيعى وأساسه التخمين، والمقصود به الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض وبقياس الدرج والبروج، على مجرى الحوادث التى تفيض عن حركاتها، من أحوال أدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحاويل والتسايير والاختيارات والمسائل».

وميز علماء العرب والمسلمين بين الفلك والتنجيم، وأكدوا على أن الفلك علم قائم بذاته له أصوله وأسبابه ونتائجه العلمية، فى حين أن التنجيم خرافة ووهم ليس له أى أساس علمى[٣].

واشتهر فى علم الفلك من علماء خوارزم – فى بداية العصر السلجوقى أبو الريحان البيرونى ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م، الذى لم يعرف أحذق منه فى علم الفلك، وقد شهد له العلماء فى هذا العلم[٤]، كما عرف بأنه إمام وقته فى علم النجوم، فقد تكسب البيرونى عيشة من عمله كمنجم[٥]. وله الكثير من التصانيف فى علم الفلك والنجوم أهمها «أهمها التفهيم فى صناعة التنجيم»[٦].

وهو كتاب فى مقدمات علوم الهيئة الهندسية والنجوم، بطريق السؤال والجواب، ألفه أبو الريحان البيرونى سنة ٤٢٠/١٠٢٩ أو سنة ٤٢٥/١٠٣٣ من أجل ريحانة بنت الحسن الخوارزمية، وقد كتبه باللغة العربية والفارسية، غير أنه جعل أحدهما ترجمة للآخر[٧] ومن مؤلفاته فى هذا العلم أيضا، «كتاب مقاليد الهيئة»[٨]، كتاب «العمل

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٧.
(٢) جهاز مقالة: المقالة الثالثة، ص ٦٢، ٦٣.
(٣) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٣٧.
(٤) محبوبة: نظام الملك، ص ١٦٧.
(٥) يمنى ظريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٧٦.
(٦) ابن أبى الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٧٦.
(٧) النظامى العروضى: نفسه حواشى المقالة الثالثة، حاشية ٢، ص ١٤٨.
(٨) ابن أبى العروضى: نفسه، ج٣، ص٣٠.

بالاصطرلاب»[١]،كتاب «تسطيح الكرة»[٢]، «القانون المسعودى» وهو من أجمل وأنفس كتب أبى الريحان البيرونى فى علمى الهيئة والنجوم، ألفه بين سنتى (٤٢٢ - ٤٢٧هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٣٥م) باسم السلطان مسعود الغزنوى[٣] حذا فيه حذو بطليموس فى المجسطى[٤] وهو من الكتب المبسوطة فى هذا الفن[٥] وله مقالة فى تلافى عوارض الزاة فى كتاب القبلة، كتاب الزيج[٦] المسعودى ألفه للسلطان مسعود بن محمود ملك غزنة، وله مقالة فى استعمال الاصطرلاب الكرى[٧] وله كتاب عنوانه "الدستور"بإسم شهاب الدولة أبى الفتح مودود بن السلطان مسعود الغزنوى[٨].

ومن كل ما تقدم يتضح أن علم الفلك والتنجيم تطور وتقدم عن طريق مؤلفات البيرونى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، هذه المؤلفات التى كان لها أكبر الأثر فى تطور هذا العلم فى العصر السلجوقى مما يدل على أن البيرونى بحق أحد أهم ممثلى هذا العلم الذى ازدهر وانتشر ظلاله فى ربوع الدنيا فى عصره، والعصور اللاحقة[٩].

ومن الفلكيين الذين عاشوا فى العصرين، أبو المظفر سعيد بن سهل بن محمد بن عبد الله النيسابورى الأصل، لإيل أرسلان خوارزمشاة (٥٥٢ - ٥٦٨هـ/ ١١٥٧ - ١١٧٢م)، وكان ذاهبة وشهامة ونهضة بأعباء المور، كما كان يغدق الأموال على العلماء[١٠].

---

(١) الاصطرلاب: معناه مقياس النجوم وهو باليونانية اصطرلابون: واصطر هو النجم، ولا بون هو المرآة ومن ذلك قيل لعلم النجوم اصطرنوميا. الخوازمى: مفاتيح العلوم ص ١٣٤.

(٢) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء،ج٣، ص ٣٠.

(٣) النظامى العروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الثالثة، حاشية ١١، ص١٥٢.

(٤) المجسطى: بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء كلمة يونانية معناها الترتيب وهو أشرف ما صنف فى الهيئة بل هو الأم ومنه يستخرج سائر الكتب المؤلفة فى هذا الفن وهو كتاب بطليموس الفلوزى الحكيم الذى يذكر فيه القواعد التى يتوسل بها فى إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية. حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢،ص١٥٩٤...

(٥) حاجى خليفة:كشف الظنون،مج٢،ص١٣١٤.

(٦) الزيج: كتاب منه يحسب سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم بمعنى حساب الكواكب لسنة وهو بالفارسيةزة أى الوتر ثم أعرب فصار الزيج وجمعه زيجة . الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٢٧.

(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنبياء، ج٣، الاصطرلاب وأنواعه كثيرة وأساميها مشتقة من صورها كالهلالى من الهلال والكرى من الكرة . الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٣٥.

(٨) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥،ص١٢٦.

(٩) آنا مارى شيمل: الإسلام دين الإنسانية، ترجمة وتعليق د./صلاح عبد العزيز محبوب، راجعة د./ محمود فهمى حجازى،ط٢، العدد ٩٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة تصدر كل شهر عربى، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٩٩.

(١٠) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣،ص٥٦، ابن العماد الحنبلى:شذرات الذهب، مج٢،ج٤،ص١٨٨.

ولقد ارتبط علم الفلك والتنجيم بعلم الفلك والتنجيم بالعلوم الدينية، فقد كان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة المور الدينية، ومنهم المفسر والفقيه المتكلم فخر الدين الرازى ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، فكان إلى جانب اهتماماته بالعلوم الشرعية يهتم أيضا بعلم الفلك وغيره من العلوم العقلية، وليس أدل على اهتمامه هذا من كتابة "الأحكام العلانية فى التأثيرات السماوية[١] الذى ألفه للسلطان علاء الدين محمد خوارزمشاة ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وهو كتاب فارسى مختصر فى الأخبار النجومية، ورتبه على مقالتين الأولى فى الكليات المثالية والثانية فى الجزئيات[٢] .

هكذا ارتبط علم الفلك والتنجيم بالعلوم الشرعية والرياضية مما أدى إلى اهتمام علماء المسلمين بهذا العلم، ودراسته لتحديد مواقع القبلة، وأوقات الصلاة، ومواضع الهلال لتحديد بداية شهر رمضان، كل ذلك أدى إلى تطور علم الفلك والتنجيم فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

و - الفلسفة وعلم الكلام:

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهى فيلا سوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما عربت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه[٣] .

ولقد قرأ المسلمون الفلسفة فى الكتب اليونانية، وأضافوا إليها آراءهم[٤] مما نتج عنه تكوين الفكر الإسلامى[٥]، كما جاءت أفكار الهند إلى بلاد الإسلام عن طريق غزنة وفارس[٦] .

---

(١) ابن القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٩٢ .

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١٩ .

(٣) الخوارزمى الكاتب: مفاتيح العلوم، ص ٧٩، عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفى فى الإسلام، ط٢، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص١٦٣ .

(٤) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٣، ص١٩٦ .

(٥) جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهورى، حسين مؤنس، إحسان صدقى العمد، تعليق وتحقيق د./ شاكر مصطفى، مراجعة د./ فؤاد زكريا، ج٢، ط٢، مكتبة عالم المعرفة، الكويت ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م، ج٢، ص٦٧ .

(٦) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة د./ ذكى نجيب محمود، محمد بن بدران، د./ عبد الحميد يوسف، فؤاد أندارواس، محمد على أبو درة، ٢٢ مجلد، ٤٢ جزء، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، مج٧، ج١٣، ص١٩٧ .

وهكذا انتقل التراث الفلسفى اليونانى إلى المسلمين، ولايهمنا هنا معرفة كيفية انتقال هذا التراث، لأن هذه المعرفة تحتاج إلى مؤلف كامل[١].

فبعد أن قرأ المسلمون كتب الفلسفة، عمدوا إلى الكتابة فى تلك الموضوعات من عند أنفسهم، ويندر أن يشتغل الواحد منهم فى الفلسفة دون الطب والنجوم، أو فى الطب دون الفلسفة والنجوم، أو بالعكس[٢] وأكبر فلاسفة المسلمين وأشهرهم قبل قيام الدولة السلجوقية، الرئيس أبو الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م[٣]، وقد قرأ الفلسفة على أبو عبد الله النائلى، المتفلسف، ثم توجه النائلى إلى خوارزم فى عصر خوارزمشاة مأمون بن محمد (٣٨٠ - ٣٨٧هـ/ ٩٩٠ - ٩٩٧م)[٤]، ثم توجه ابن سينا إلى الجرجانية عاصمة إقليم خوارزم، وكان أبو الحسين السهلى وزير على بن مأمون خوارزمشاة (٣٨٧ - ٣٩٩هـ/ ٩٩٧ - ١٠٠٩م)، محبا للعلوم مقربا للعلماء، ولقد صنف ابن سينا وهو بخوارزم "القصيدة المزدوجة" فى المنطق[٥] صنفها للرئيس أبى الحسن سهل بن محمد السهلى[٦].

ومن فلاسفة خوارزم فى أوائل العصر السلجوقى محمد بن أبى أحمد أبو الريحان البيرونى، ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، فقد عد الفلسفة من أهم ظواهر المدينة، كما أولاها حظا من عنايتة، وله فيها إسهام، إلا أن إسهاماته الفلسفية مفقودة تماما[٧]. وأهمها "كتاب فى التوسط بين أرسطو طاليس[٨] وجالينوس[٩] فى المحرك الأول"[١٠]، وعثر أخيرا

(١) محمد محمود أبو قحف: الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ومدارسة، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، ١٩٩٣م، ص٣٧.

(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الأسلامى، ج٣، ص١٩٦م.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٢، ص١٥٧.

(٤) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنبياء، ج٣، ص٦.

(٥) المنطق: هو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحد وشروطه، هو داخل فى علم الكلام، الغزالى: إحياء علوم الدين، مج١، ص٣٣.

(٦) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنبياء، ج٣، ص٢٧: ٢٨.

(٧) يمنى طريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون، ص١٤٠.

(٨) ارسطو طاليس: وتفسيرة تام الفضيلة، وكان تلميذ أفلاطون، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسمية العقل، وإلى أرسطو طاليس انتهت فلسفة اليونانيين، وهو خاتمة حكماءهم وسيد علمائهم .ابن القفطى "جمال الدين أبى الحسن على بن ةالقاضى الأشرف يوسف القفطى "، ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٦م، أخبار العلماء بأخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون، ص٢١: ٢٢.

(٩) جالينوس: كان خاتم الأطباء الكبار المعلمين، وليس يداينه أحد فى صناعة الطب، ابن أبى أصبيعة: عيون الأنبياء، ج١، ص١٠٨.

(١٠) البيرونى: الأثار الباقية، ورقة XXXXVII

على عمل هام له فى الفلسفة بعنوان "الشامل فى الموجودات المحسوسة والمعقولة" ولكن لم تثبت بعد نسبته إلى البيرونى بصورة قاطعة[١].

وقد جرت مناظرة بين البيرونى الخوارزمى وابن سينا فى الفلسفة الطبيعية[٢]، عبارة عن عشرة مسائل أجاب عنها ابن سينا للبيرونى، وجواب ستة عشرة مسائل أخرى للبيرونى[٣]، هذه الأسئلة والرسائل المتبادلة بينهما تدور حول بعض من أهم النقاط الأساسية المتصلة بالفلسفة الطبيعية[٤].

إن مثل هذه المناظرات والمناقشات والمراسلات، تدل على تطور الفكر الفلسفى فى إقليم خوارزم وغيره من الأقاليم والمدن الإسلامية، لأنها كما قال ابن أبى أصبيعة "تحتوى على أمور مفيدة فى الحكمة"[٥].

ومن الأدباء الذين تأثروا بعلم الفلسفة، الأديب محمود بن عزيز العارضى الخوارزمى ت٥٢١هـ/١١٢٧م، وكان مقربا من محمد بن نوشتكين خوارزمشاه (٤٩٠ - ٥٢١هـ/١٠٩٦ - ١١٢٧م)، وكان العارضى هذا أديبا لغويا، لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتونا بها، مناظرا فقيها على مذهب الفلاسفة[٦].

كما كان لنقل كتب اليونان الفلسفية إلى العربية أثر كبير، فكان من تأثير الفلسفة فى الإسلام أن بنوا عليها علم الكلام[٧] بالطريقة الجدلية الموجودة فى تلك الكتب، فقد عكفوا على مطالعتها فانتشرت، وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما أرادوه منها فى تقوية الحجة والجدال فيما كانوا فيه، واشتهروا علم الكلام بين المسلمين، وظهرت جماعة المعتزلة التى تأثرات بهذه الطريقة الجدلية الفلسفية التى تقوى حجتهم فيما قام بينهم من

(١) يمنى طريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٤٠.
(٢) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٠١.
(٣) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنبياء، ج٣، ص٣٠.
(٤) أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى أبو الريحان محمد أحمد، سلسلة أعلام الإسلام، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص٧٤.
(٥) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنبياء، ج٣، ص٣٠.
(٦) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٨٨، ٤٨٩.
(٧) علم الكلام: لفظة المتكلم تطلق على من يعرف علم الكلام، وهو أول أصول الدين، وإنما قيل علم الكلام لأن أول خلاف وقع فى عصر المأمون، كان فى كلام الله عز وجل: أمخلوق هذا أم غير مخلوق، فتكلم الناس فيه، فسمى هذا النوع كلاما، اختص به وأن كانت العلوم جميعا تنشر بالكلام. ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٤، ص٢٧١.

المجالادت المذهبيه[١]، فتوسعوا فى تنزيه الله ونفى الصفات، وفى ذلك يقول ابن خلدون[٢]: "لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث فى سائر الأنحاء، وألف المتكلمون فى التنزيه، حدثت بدعة المعتزلة فى تعميم هذا التنزيه فى آى الأسلوب، فقضوا بنفى صفات المعانى من العلم والقدرة والإرادة وقضوا بنفى السمع والبصر، بكونهما من عوارض الأجسام وهو مردود بعدم اشتراط البنية فى مدلول هذا اللفظ، وإنما هو إدراك للمسموع أو المبصر، وقضوا بنفى الكلام لشبه مافى السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التى تقوم بالنفس فقضوا بأن القرآن مخلوق".

ومال بعض الناس إلى مذهب المعتزلة، وكثر أنصاره لما فيه من مظاهر البحث العقلى والاعتماد على أساليب الجدل والمنطق، وسموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد، فأصبح الذهب السائد من بين المذاهب السائدة من بين المذاهب الكلامية[٣]. ولقد بذل المعتزلة "جهود ملموسة فى هذا المجال"[٤].

وعرف ابن خلدون[٥] علم الكلام بأنة "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المنحرفين فى العتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة،وسر هذة العقائد هو التوحيد".

ولقد برز علم الكلام فى إقليم خوارزم عن طريق جماعة المعتزلة، وفى ذلك يقول القزوينى[٦] أن عوام خوارزم كلهم متكلمة، يبحثون بحثا صحيحا".

وارتبط علم الكلام بمذهب المعتزلة فى إقليم خوارزم خاصة فى العصرين السلجوقى والخوارزمى فقد دخل مذهب المعتزلة خوارزم فى وقت انحسر فيه الاعتزال عن معظم الأقطار الإسلامية، بل إن آخر ما نسمعه عن الأعتزال نسمعه فى خوارزم[٧]، هذا المذهب الذى دخل عن طريق أبو مضر النحوى المعتزلى، محمود بن جرير الضبى الأصفهانى "المتوفى"٥٠٧هـ/١١١٣م، الذى يقول عنه ياقوت الحموى[٨]" هو الذى

(١) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص١٩٨.
(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص٣٨: ٣٩.
(٣) جرجى زيدان: المصر السابق، ص١٥٨: ١٥٩.
(٤) آنامارى: الإسلام دين الإنسانية، ص١٠٠.
(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٢٧.
(٦) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٧٨.
(٧) الصاوى منهج الزمخشرى، ص٢٨.
(٨) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٨٧.

أدخل على إقليم خوارزم مذهب المعتزلة، ونشره به، فاجتمع علية الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه، ومن تلاميذه أبو القاسم الزمخشرى ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، وكان أبو مضر شديد العصبية للاعتزال ذا حمية فى نشره وإذاعته بخوارزم . هذه الوح المتعصبة المتحمسة بثها فى نفس تلميذة الزمخشرى، الذى نشأ متحمسا للاعتزال[١]، وفى ذلك يقول ابن خلكان[٢]، كان الزمخشرى معتزلى الاعتقاد متظاهرا به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبا له وأستاذن عليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الأذن: قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب، وأصبح الزمخشرى، من كبار أصحاب الرأى[٣]، وصنف "الكشاف فى تفسير القرآن[٤] " وكتب فى استفتاح الخطبة "الحمد لله الذى خلق القرآن " فيقال انه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجرة الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله "الحمد لله الذى جعل القرآن" وجعل عندهم خلق، وهناك نسخ فيها " الحمد لله الذى أنزل القرآن "وهذا اصطلاح الناس لا اصطلاح المصنف[٥] .

وكان المطرزى "ابو الفتح ناصر بن عبد السيد ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م، خليفة الزمخشرى، وكان على مذهب الحنفية، معتزليا[٦]، رأسا فى الأعتزال داعيا إليه، وله كتاب "المغرب" تكلم فيه على الألفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغريب، وهو للحنفية بمثابة كتاب الأزهرى للشافعية[٧] .

على أن " الكشاف" للزمخشرى "هو التفسير الكامل والوحيد المفسر على مذهب المعتزله هو الذى بقى من هذا التراث الهائل[٨].

ومن الفلاسفة الذين دخلوا إقليم خوارزم وأقاموا فيه فى العصر السلجوقى: محمد عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح بن أبى القاسم بن أبى بكر الشهرستانى[٩] المتكلم

---

(١) الصاوى: منهج الزمخشرى، ص٢٨.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص١٧٠.
(٣) عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٦٧.
(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص٤٩٤، ابن القرشى الحنفى: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج٣، ص٤٤٧: ٤٤٨.
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص١٧٠.
(٦) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص٣١١.
(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص٣٧٠.
(٨) الصاوى: منهج الزمخشرى، ص٧٥.
(٩) الشهرستانى: بفتح الشين والراء، بينهما هاء، ثم السين المهملة الساكنة، والتاء المفتوحة ثالث الحروف، بعدها الألف، وفى أخرها النون، هذه النسبة إلى "شهرستانة" وهى بليدة من الثغور، عند نسا من=

الفيلسوف ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م صاحب التصانيف، ويقول ياقوت الحموى[١]: نقلا عن محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى من تاريخ خوارزم " :دخل خوارزم واتخذ به دارا وسكنها، وكان بيننا محاورات ومفاوضات فكان يبالغ فى نصرة مذاهب الفلاسفة، والذب عليهم، وخرج من خوارزم فى ٥١٠هـ/ ١١١٦م.

ومن مصنفاته كتاب "الملل والنحل "فى علم الكلام[٢] وله فى علم الكلام أيضا "نهاية الإقدام فى علم الكلام"[٣]، و"كتاب غاية المرام فى علم الكلام" و"كتاب دقائق الأوهام" و"كتاب الإرشاد إلى عقائد العباد" وكتاب "المبدأ والمعاد"، وكتاب شرح سورة يوسف بعبارة لطيفة فلسفية وكتاب الأقطار فى الأصول[٤] .

ومن المبرزين فى علم الكلام الذين جاءوا إلى خوارزم فى العصر الخوارزمى فخر الدين محمد الرازى، الإيرانى الأصل، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م[٥]، الشافعى المفسر المتكلم صاحب التصانيف، وتصانيفه فى علم الكلام والمعقولات سائرة فى الآفاق[٦].

وكان فخر الدين الرازى قد ذهب إلى خوارزم، وحكى أنه كان يعظ على المنبر بخوارزم، وعوام خوارزم كلهم متكلمة، وكان يأتى بمسألة مختلفة بين المعتزلة والشافعية، ثم يقررها تقريرا تاما ويقول: أئمة المعتزلة لا يقدرون على مثل هذا التقرير ويقول لهم: أما هذا تقرير حسن، يقولون: نعم: فيقول: اسمعوا إبطاله فيبطله بأدلة أقوى منها، فالمعتزلة عزموا على ترك الأعتزال لأن الواجب عليهم إتباع الدليل، فقال لهم مشايخهم: لا تخالفو مذهبكم فإن هذا رجل أعطاه الله فى التقرير قوة عجيبة، فان هذا لقوته، لا لضعف مذهبكم[٧] .

ومن ذلك يتضح أنه كان هناك صراع بين علماء الكلام والفقهاء، وكان الفقهاء فى

=خراسان، مما يلى خوارزم يقال لها: رباط شهرستانة، بناها أمير خراسان عبد الله بن طاهر فى خلافة المأمون، خرج منها جماعة كثيرة من العلماء من كل فن: السمعانى: الأنساب، مج٣، ص٤٩٠.

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص١٦٦، السبكى: طبقات الشافعية، ج٦، ص١٣٠.

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب مج٢، ج٤، ص١٤٩.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٢، شاخت وبورزورث: تراث الإسلام، ج٢، ص٨٤.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص١٦٧.

(٥) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص١٥٧.

(٦) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٨، القسم الأول، وفيات (٦٠١ - ٦١٠هـ)، ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٧) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٧٨.

كـافة الأمـصار الإسـلاميـة يعدون أهـل الكلام على أنهم ليسـوا فى طبـقات الفـقهـاء والعلماء[١] .

ومن أساتذة علم الكلام فى إقليم خوارزم خلال العصر الخوارزمى: يوسف بن أبى بكر ابن محـمد بن على السكاكـى الخوارزمى ت٦٢٦هـ/ ١١٢١م[٢]، ومن تلامـيذه فى علم الكلام الإمام مختار بن محمود الزاهدى ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م[٣] .

وهكذا كان من تأثـير الفلسفـة، أن برز علم الكلام خاصة فـى إقليم خوارزم من خلال المناظرات والمجادلات بين رجال الدين من جهة وعامة خوارزم من جهة أخرى، مما كـان له أثر بالغ فى زيادة النشـاط الفكرى فى إقليم خـوارزم فى العصـرين السلجـوقى والخوارزمى.

ز- علم التاريخ:

كان علم التـاريخ جزءا من التطور الفكرى فى إقليم خوارزم "والتـاريخ فى اللغة الإعلام بالوقت يقال أرخت الكتاب وورخته أى بينت وقت كتابته"[٤] .

ويقول ابن خلدون "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز الذهب جم الفائدة اذ يقفنا على أحـوال الماضـين من الأمم فى أخـلاقـهم والأنبـاء فـى سـيـرهم والملـوك فى دولهم وسياستهم[٥].

ولفظ "التـاريخ "تعريب لكلمـه "ماة روز" الفـارسيـة ومعناها حـساب الشـهور والأيام، فقـالوا مورخ وجعلوا مصـدره التاريخ[٦]، توخى لفظة مـاه روز بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمرى[٧].

---

(١) محمد محمود أبوقحف: الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ومدارسه، ص١١، ١٢.
(٢) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج٣، ص٦٢٢، ٦٢٣.
(٣) القرشى الحنفى: نفسه، ج٣، ص٤٦٠، ٤٦١.
(٤) السخاوى: (مـحمد بن عبد الرحمن) ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، الإعـلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٦.
(٥) ابن خلدون: المقدمة، مج١، ص٨، لمزيد مـن التفاصيل ارجع: حاجى خليـفة: كسف الظنون، مج١، ص٢٧١.
(٦) البيرونى: الآثار الباقية، ص٢٩.
(٧) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص١٨.

إن الغرض من دراسة التاريخ هو معرفة الوقائع البشرية والأحداث التاريخية والظروف التى حدثت فيها، وأسبابها على وجه الحقيقة، والفكر التاريخى لكى يتطور يتطلب اتباع منهج النقد والتحليل، غير أن الكتابة التاريخية لا تخلو عادة من الغرض أو الوقوع تحت تأثير المؤثرات الدينية كانت أو الشخصية أو السياسية، غير أن ذلك يجرى بدرجات متفاوتة، تخضع لمدى وضوح الهدف وقوة وضوح شخصية الباحث، وقدرته على الالتزام بموقف الحياد(١).

أما الكتب المصنفة فى علم التاريخ فى إقليم خوارزم خلال العصر السلجوقى: "المسامرة فى أخبار خوارزم " للبيرونى المتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م(٢)، ومن مؤلفاته أيضا " تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة فى العقل أو مرذوله"، وقد أصبح هذا الكتاب مرجعا أساسيا فى التاريخ والجغرافيا وكل ما يتصل بحياة الشعب الهندى(٣).

ومن مؤلفات البيرونى التى لها صلة وثيقة بالتاريخ من جانب، وبالفلك والتنجيم من جانب آخر كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية(٤)، وله كتاب "تاريخ أيام السلطان محمود الغزنوى وأخبار أبيه"(٥).

ولقد جمع كثير من الأدباء بين الأدب والتاريخ، منهم الحسن بن المظفر النيسابورى الخوارزمى، شيخ الزمخشرى ت٥٣٨هـ/١١٤٣م، وألف كتاب تاريخ "زيادات أخبار خوارزم"(٦).

كما جمع كثير من أئمة المسلمين فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، بين الفقه والتاريخ حيث كان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الدينى حتى يصبح علم التاريخ على هذا النحو وسيلة لفهم الفقة والشريعة، ولذلك فعلم التاريخ من فنون الحديث النبوى(٧)، ومنهم الإمام الحافظ المؤرخ محمد بن محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى ت٥٦٨هـ/١١٧٢م،

---

(١) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص٤٣٠.
(٢) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٣٤.
(٣) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٩٤.
(٤) إسماعيل باشا الغدادى: هدية العارفين، مج٢، ص٦٥.
(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص١٢٦.
(٦) ياقوت الحموى: معجم الدباء، مج٣، ص٩٥.
(٧) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٢٦: ٢٧.

صاحب كتاب "الكافى " فى الفقه وهو نحو ثمانى مجلدات[١]، كما صنف "تاريخ خوارزمشاة" بسط فيه الكلام بلغ ثمانين مجلدا[٢]، ومن المحدثين المؤرخين الذين رحلوا إلى خوارزم: أبوسعد السمعانى ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، صاحب كتاب الأنساب"[٣].

ومن أدباء خوار زم فى العصر الخوارزمى، القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وقد شرح كتاب اليمنى "للعتبى"[٤].

كما ألف الكتاب محمد بن أحمد النسوى،ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، سية السلطان جلال الدين منكبرتى "آخر سلاطين الدولة الخوارزمية[٥].

هكذا كان علم التاريخ مرتبطا ارتباطا وثيقا بالعلوم الدينية والأدبية، مما أسهم فى نشاط علم التاريخ فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

ح - علم الجغرافيا:

تجمع قواميس اللغة على اختلافها بأن الجغرافيا هى العلم المختص بدراسة سطح الأرض[٦]. ولقد نشأ الفكر الجغرافى نشأة عفوية تلقائية، لكى يجنب الإنسان التخبط فى المكان، أو لكى يرشد التعايش فى المكان[٧].

تطور الفكر الجغرافى فى العصر السلجوقى، وكان أول من ساهم فى هذا التطور الجغرافى البيرونى الخوارزمى المتوفى ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وكانت أول الفروع التى استأثرت باهتمام البيرونى هى الجغرافية الطبيعة، وهى التى تتناول الغلاف الصخرى، والغلاف الجوى، والغلاف المائى[٨]، كما بحث فى الجغرافية الفلكية، وكتابة المترجم "بالقانون

---

(١) السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص١٢٦.

(٢) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، مج٢، ص ٩٧.

(٣) السمعانى: الأنساب، مج١، ص٤٤٦.

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص٥٩٢، وهو كتاب ألف أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م، وهو سيرة السلطان محمود الغزنوى، ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص١.

(٥) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص٢١.

(٦) طه عثمان الفرا: المدخل إلى علم الجغرافيا، بالاشتراك مع د./محمد محمود محمد بن، ط٢، دار المريخ للنشر، طبعة الرياضى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص٤.

(٧) صلاح الدين على الشامى: الفكر الجغرافى سيرة ومسيرة، نشر منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص١٧.

(٨) أحمد سعيد الدمرداش، البيرونى، ص٩٣.

المسعودى"[١]، الذى يضم خلاصة الأبحاث وحصاد الدراسات التى قام بها البيرونى، فى الجغرافية الفلكية، وهو من الكتب الممتازة التى تشهد له بالتفوق والتوفيق فى هذا المجال[٢]. كما بحث البيرونى فى الجغرافيا الإقليمية والدراسات التى توصل إليها البيرونى فى الجغرافية الإقليمية واضحة جلية فى كتابة "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن"[٣]، كما تحدث عن جغرافيا المدن فنجده فى كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة"[٤] يتكلم عن مدن الهند مبينا أهميتها كمراكز تجارية تصدر منها المشغولات والمنتجات اليدوية والزراعية، كما يتكلم عن مكانتها الثقافية والحضارية، ومواقعها الاستراتيجية وشهرتها كمناطق عبور إلى جزر الهند الشرقية والصين، ومواقع تلك المدن على خطوط الطول والعرض بالنسبة للبلدان الأخرى المجاورة لها[٥]، كما أعطى وصفا دقيقا للمدن الإسلامية وكتابه هذا الذى أصبح مرجعا أساسيا للتاريخ والجغرافيا على السواء[٦].

ومن علماء خوارزم الذين ألفوا فى الجغرافيا المفسر والمحدث والفقيه والأديب والنحوى الزمخشرى المتوفى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م وصنف كتاب "الأمكنة والجبال والمياه"[٧] رتبه على حروف المعجم، واهتم فيه بتحقيق الأعلام الجغرافية فى جزيرة العرب بوجه خاص، كما تناول بعض مواضع أخرى فى الشام والعراق ومصر، ولكنه لم يهتم بها اهتمامه بالمواضع فى الجزيرة العربية، وترجع أهمية الكتاب إلى عناية المؤلف بضبط الأعلام التى ورد فى الحديث والسيرة[٨]، ولذلك سماه ابن خلكان[٩]: "معجم الحدود" وهو معجم عربى فارسى فى مجلدين[١٠].

ومن أدباء خوارزم الذين ألفوا فى الجغرافيا على بن محمد بن على بن أحمد بن

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص١٢٦.
(٢) صلاح الدين الشمى: المصدر السابق، ص٢٣٣.
(٣) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، مج٢، ص٦٥.
(٤) النظامى العروضى: جهار مقاله، حواشى المقالة الثانية، حاشية ١، ص١٤٧.
(٥) أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى، ص١٠٣.
(٦) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٩٤.
(٧) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٣٩٨.
(٨) عمر فوخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص٢٧٠: ٢٧١.
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص١٦٩.
(١٠) الزركلى: الأعلام، ج٨، ص٥٥.

مروان العمرانى الخوارزمى أبو الحسن الأديب، يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ، مات فيما يقارب سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م[١]، وصنف كتاب "المواضع والبلدان"[٢].

كما اشتهرت المعجم الجغرافية فى العالم الإسلامى، وتناولت بعض الكتب أنماطا من التصنيف المعجمى الجغرافى، وأشهرها المعجم الجغرافى ذو الشهرة الفائقة "معجم البلدان" لمؤلفة ياقوت بن عبد الله الحموى ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، الذى زار خوارزم وصافة خروج المغول[٣]، هذا المعجم الذى يعد موسوعة جغرافية سجلت وصفا لما استطاع المؤلف أن يعلم عنه شيئا من المدن والمواضع المختلفة، كل ذلك كان فى ترتيب هجائى، ويعتبر معجم ياقوت أفضل مصنف من نوعه لمؤلف مسلم فى الصور الوسطى[٤].

ولابد من أن نشير إلى الأرتباط الوثيق بين علم الجغرافيا وعلم التاريخ من ناحية والجغرافيا والتاريخ بالأدب من ناحية أخرى، وذلك يعود لارتباطهم بالسرد الدبى والقصصى.

وهكذا فقد شهد إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، علماء برعوا فى أنواع العلوم المختلفة، ساهموا بجهدهم وفكرهم وإنتاجهم العلمى والأدبى الضخم فى حماية اللغة العربية والإسلام، مما أدى إلى تطور الحضارة الإسلامية، حتى جاءت جحافل المغول لغزو هذا الإقليم، وقامت بتدمير المراكز العلمية، وحرق المصاحف والمؤلفات العلمية، كما قامت بقتل العلماء والطلاب، مما أدى إلى ركود هذه الحياة الفكرية التى طالما ازدهرت وتطورت قبيل هذا الغزو المدمر.

******

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص٣١٩.
(٢) ياقوت الحموى: نفسه، ص٣٢٠.
(٣) ابن القفطى: أنباه الرواة، ج٤، ص٨٠: ٨٣.
(٤) طه عثمان الفرا: المدخل إلى علم الجغرافيا، ص٢٥.